السبت 14 تشرين الأول 2023
العدد 5035 السنة الثامنة عشرة
Samedi 14 Octobre 2023 nº 5035 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

على صدوركم باقون... كالجدار

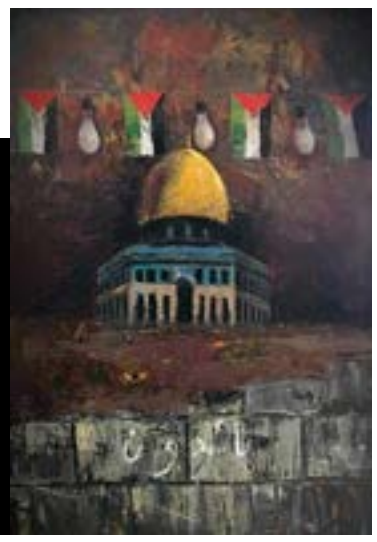

مفاجآت «القسام» في البرّ

حزب الله يتجاوز التهويل: رسائل حدودية للمقاومة

وعود مصرية وقطرية وأردنية بمنع «تهجير» غزة

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

قواعد العدوّ الأميركي تهديد أم أهداف؟

مع الغزو الأول للعراق، مطلع تسعينيات القرن الماضي، عزّز الأميركيون قواعدهم العسكرية في دول المنطقة، في سياق تثبيت حضور عسكري مباشر لدعم الأنظمة الحليفة لواشنطن. وكان لبنان، تحديداً، مسرحاً لعمليات عسكرية أميركية ذات طابع أمني، وتحديداً عام 1958 عندما نزلت قوات البحرية الأميركية في بيروت دعماً للرئيس كميل شمعون في وجه «خطر المدّ الشيوعي» على المنطقة، والمتمثّل بحركات التحرر الوطني في الشرق الأوسط. إلا أن التدخّل الأبرز كان عام 1982، بعد غزو العدو الإسرائيلي للبنان واحتلاله بيروت. يومها، وجدت أميركا في العدوان فرصة لتكريس وصاية أمنية وعسكرية مباشرة على لبنان، في وجه النفوذ القوي للمحور الآخر بقيادة الاتحاد السوفياتي وسوريا والقوى اللبنانية والفلسطينية الحليفة لها.

ما لم يقدّره الأميركيون في ذلك الوقت، هو نفسه ما لم يتوقّعه الإسرائيليون الذين لم يتأخروا في الهروب من بيروت ومناطق كثيرة خلال أسابيع قليلة، قبل أن يبدأوا رحلة الهروب الكبير حتى عام 2000. وقد نال العدو الأميركي حصته من عمليات نوعية بطولية لا يزال استشهاديّوها غير معلومين عند العموم.

في العقدين الأخيرين، عزّز الأميركيون انتشارهم العسكري المباشر، سواء في دول الخليج المستسلمة للإرادة الأميركية، كالسعودية وقطر والكويت والبحرين والإمارات، ثم بدأوا إقامة قواعد محصّنة تحمي من بقي من جنودهم بعد هزيمتهم الكبرى في العراق عام 2011، ووسّعوا نطاق تواجدهم العسكري والأمني في الأردن. واستغلّوا الحرب على سوريا لتثبيت قاعدة كبيرة على الحدود مع العراق والأردن، فيما كانوا يعملون على تعزيز نفوذهم العسكري والأمني في دول أخرى، من بينها لبنان، من خلال برامج تعاون خاصة مع الجيوش النظامية. ومعلوم أن جيش الاحتلال الأميركي يتّخذ من قاعدة حامات الجوية التابعة للجيش اللبناني مقراً له، حيث تهبط وتطير طائرات عسكرية أميركية من دون أي رقابة، وحيث يسيطر الأميركيون على منظومة المُسيّرات التجسّسية التابعة للجيش، كما يسيطرون على إدارة الداتا المستخرجة من عمل الأفواج الحدودية البرية وبعض موارد الاستخبارات في الجيش. ورغم التكتّم، إلا أن العاملين في الحقل الأمني في لبنان يعرفون بوجود عشرات إن لم يكن المئات من المستشارين الأميركيين الذين يتحرّكون في مناطق كثيرة برعاية الجيش اللبناني.

وكما في كل مرة يشعر الأميركيون بخطر يتهدّد مصالحهم أو حكومات حلفائهم، ثمّة تطورات اليوم تدفع بالأميركيين إلى الحضور مجدّداً، إذ تشعر أميركا، ومعها الغرب الاستعماري، بأنّ مستوطنتهما التي تُسمى إسرائيل تعاني عوارض الاحتضار. لذلك لم يجد الغرب مناصاً من التدخل المباشر لأن الدعم عن بعد لم يعد يكفي.

ولأن هيبة الإمبراطورية الأميركية هي الأساس، فإن هذه القوة التي تحتل العالم، تقرن هيبتها بحاملات الطائرات التي تمتلكها. وتُشكّل هذه «المدن» المتحرّكة أدوات هجومية عابرة للمحيطات، يمكنها أن تستهدف أيّ بقعة في العالم. ولحاملات الطائرات هذه ميزات تُعطي الجيش الأميركي أفضلية كبيرة في أيّ حرب. فعملياً، يملك هذا الجيش القدرة على تحريك أسطول من الطائرات الحربية حيث يريد، مع قدرة على المناورة والتحرّك، وعلى الدفاع عن نفسها أمام المخاطر التقليدية، كالطائرات الحربية المعادية والغواصات والصواريخ التقليدية. كما أنها تتمتّع بحماية فرقة من البوارج البحرية التي ترافقها في رحلاتها.

ومن ميزات الحاملات أنها تستطيع أن تسير في رحلات طويلة لأنها تتزوّد بالطاقة عبر مفاعلات نووية، أي إنها لا تحتاج للتزوّد بالوقود، وبالتالي يمكن أن تعبر مسافات طويلة من دون الحاجة إلى التوقّف، ما يعطيها ميزة المناورة، من دون الأخذ في الاعتبار عامل المسافة المقطوعة. كما أنها تستطيع أن تتحرّك بسرعة كبيرة.

اليوم، تقبع «جيرالد فورد»، أكبر حاملة طائرات في العالم، على مشارف الشاطئ اللبناني - الفلسطيني. وقد أتت لتدعم العدو معنوياً، وتهدّد حزب الله وإيران لعدم التدخّل دعماً للمقاومة في فلسطين. بلغت كلفة صناعة الحاملة «فورد» نحو 13 مليار دولار. وهي تزن أكثر من 100 ألف طن، وتتّسع لحوالي 90 طائرة كحدّ أقصى، وعلى متنها فرق متخصّصة بين طيارين وتقنيين وغيرهم ويصل عددهم إلى 4500، وتبلغ مساحتها 19000 متر مربع، وتصل سرعتها القصوى إلى 55 كيلومتراً في الساعة (وهو أمر مثير للاهتمام باعتبار أنها مدينة عائمة).

عندما أعلنت الولايات المتحدة عن دخول «جيرالد فورد» الخدمة، أصدرت جامعة الصين الشمالية دراسة بيّنت أن الصين يمكنها إغراق حاملة الطائرات هذه بما لا يزيد على 24 صاروخ فرط-صوتي. وهو أمر يبيح، بالحد الأدنى، التفكير بأن محور المقاومة بقيادة إيران، أصبح يمتلك صواريخ فرط - صوتية، يمكنها أن تفعل ذلك.

(الأخبار)

حاملة الطائرات الأميركية USS Gerald Ford

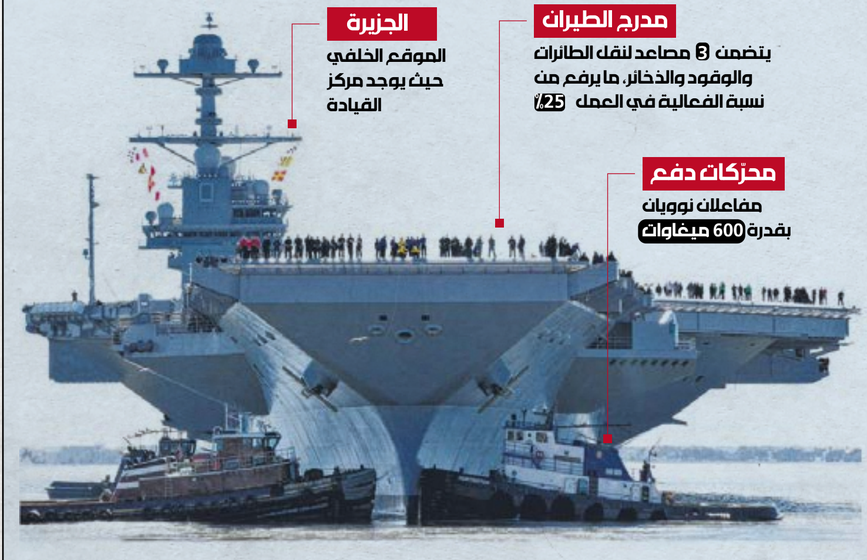

الجزيرة
الموقع الخلفي حيث يوجد مركز القيادة

مدرج الطيران
يتضمن 3 مصاعد لنقل الطائرات والوقود والذخائر، ما يرفع من نسبة الفعالية في العمل 25٪

محرّكات دفع
مفاعلان نوويان بقدرة 600 ميغاوات

طولها: 333 متراً

نُظم الإقلاع
تعمل على الإطلاق الكهرومغناطيسي

الطائرات
تتسع لـ 90 طائرة كحد اقصى وهي:
- طائرات مقاتلة: F35C + F/A18
- طائرات استطلاع: AWACS
- طائرات هجومية الكترونية: EA-18
- طائرات مروحية: SH-60
- مسيّرات (احتمال)

تكنولوجيا
المكننة الموجودة تساعد على تخفيض عدد العمال وتقليل الاكلاف، وتخفيض كلفة الصيانة بنسبة 30٪

اسلحة الحماية
الانظمة المتكاملة تتحكّم بأجهزة الاستشعار والمضادات الجوية

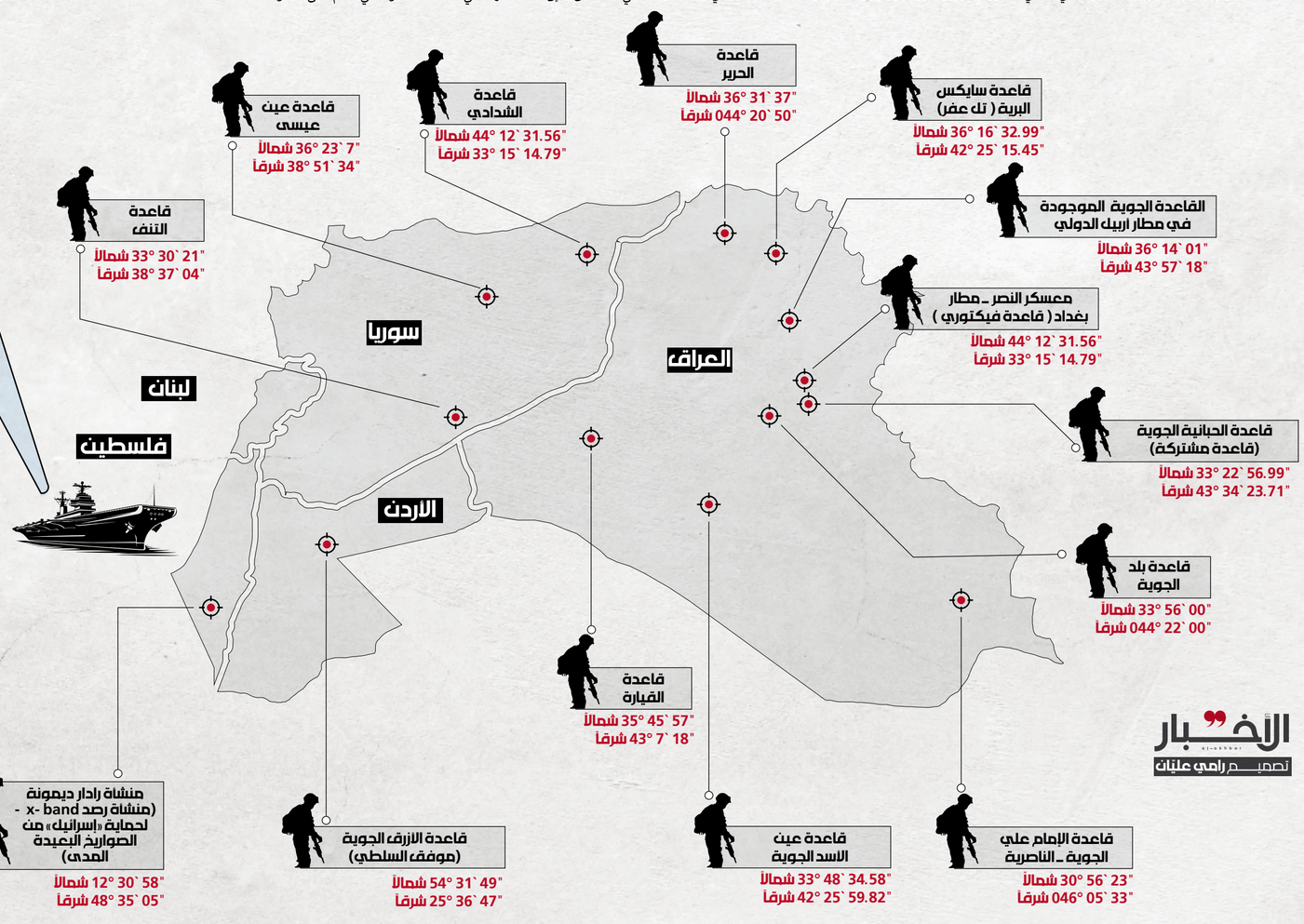

طوفان الأقصى

عبداللهيان: حماس لم تُخرِج بعد كل ما عندها

بعد وزير الخارجية الإيراني، نظيرته الفرنسية في بيروت الأثنين، ومن بعدهما نظيره التركي. الزائران الجديدان سيحملان معهما السؤال نفسه الذي يتنقل به بخشية وقلق السفراء الغربيون بين المسؤولين اللبنانيين: ماذا سيفعل حزب الله؟ وما يجب ان لا يفعله

(أ ف ب)

نقولا ناصيف

سرّ وزير الخارجية الايراني حسين أمير عبداللهيان حمله معه في ليلة وصوله الى بيروت الى الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله. ليس بين المسؤولين اللبنانيين مَن يتوهّم ان الرجل يأتمنهم سرّه. المعتاد عند عبداللهيان، كما من قبله اسلافه وغالبيتهم يحطون في بيروت ليلاً، ان تكون المقابلة الاولى مع نصرالله بعد هبوطهم او الاخيرة قبيل مغادرتهم. سرّ كل زيارة لهم فيه هو. اما المقابلات الرسمية وما يوصف بمحادثات رسمية فليس سوى الفرع من الاصل.

> بالقطعة يتعامل حزب الله مع تصعيد الجنوب

ومن بين المسؤولين اللبنانيين مَن يتوهّم ان الرجل يأتمنهم سرّه. المعتاد عند عبداللهيان، كما من قبله اسلافه وغالبيتهم يحطون في بيروت ليلاً، ان تكون المقابلة الاولى مع نصرالله بعد هبوطهم او الاخيرة قبيل مغادرتهم. سرّ كل زيارة لهم في حربها مع اسرائيل. اقترح عقد اجتماع لوزراء منظمة التعاون الاسلامي. ادرج جولته في نطاق التشاور مع قادة المنطقة حيال المرحلة المقبلة وخياراتها، والاصرار خصوصاً على التوصل الى وقف للنار، معوّلاً على أهمية الاتصال الهاتفي الذي اجراه ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان بالرئيس الايراني ابراهيم رئيسي، وهو الاول في تواصلهما الشخصي رغم ما دار أخيراً من اجتماعات بين مسؤولي البلدين.

2 - بحسب قوله «لم تُخرِج حماس سوى جزء مما تملكه في ترسانتها المسلحة ويكاد يكون يسيراً مما لديها، وما ستظهره سيفاجئ الجميع»، جازماً بأن في وسعها المضي في المواجهة مع أسرائيل «شهوراً أخرى». لم يذل الى اسلحة متطورة لدى حماس لم تستخدمها بعد تباغت العالم بها «غير معلوم وجودها لديها».

3 - اذا تجاوزت اسرائيل الخطوط الحمر فإن المنطقة «مفتوحة على احتمالات لا حدّ لها». ما بدا قاطعاً لديه ان القرار الاسرائيلي بدعم اميركي بهجوم بري على غزة «لا تراجع عنه». الا ان فيه الخطر الحقيقي على المنطقة برمتها.

4 - جولته على المنطقة ترمي الى التأكيد لحماس وغزة كما للخارج انهما ليستا متروكتين. وهي الرسالة نفسها الى حلفاء حماس.

5 - رامَ المنطقة «مفتوحة على الموازاة بينها وتلك التي يقوم بها نظيره الاميركي انتوني بليكن، كلٌ على طريقته. بليكن بهجوم بري على غزة لا يتراجع عنه، وعبداللهيان بالقطعة مع تصعيد الجنوب».

وغزة ومعنية بهما.

6 - خلافاً لما شاع وتردد اكثر من مرة اخيراً كما في اليوم الاول لانفجار الحرب، اكد عبداللهيان ان حكومته لم تكن على علم بتوقيت بدء حماس حملتها العسكرية في اسرائيل. اكد «التنسيق المسبق معها» ومعرفة طهران، اضف دورها في دعم حماس والاتصالات المستمرة معها. ما قاله ايضاً ان التواصل بقيادة حماس في القطاع متواصل وسمع منها اكثر من تأكيد ان مقاتليها «قادرون على المضي في المواجهة». المهم في ما ذكره عبداللهيان ان ما حدث «كان يجب ان يحدث بعد معاناة الفلسطينيين جميعهم من اسرائيل». الا انه سارع الى انتقاد رد الفعل الغربي المعادي بحسب رأيه لحماس وتأييده الاعمى اسرائيل، قبل ان يخلص الى ان عملية طوفان الأقصى «غيّرت كثيراً في معادلة المنطقة».

7 - لم يستبعد توسّع نطاق الحرب الدائرة في غزة في حال اصرت اسرائيل على الاستمرار فيها وارتكاب المجازر.

8 - ما استخلصه المسؤولون اللبنانيون ان القياس الفعلي لاستقرار جنوب لبنان هو ما ستؤول اليه العمليات العسكرية في غزة بالذات، المقتصرة في الوقت الحاضر على تدمير القطاع من الجو توطئة لهجوم بري واسع النطاق. في اليومين الاخيرين، الخميس والجمعة، هدأ الجنوب الى حد دونما ان يكون مؤشراً دائماً الى ثبات الاستقرار. وهو الموقف غير الرسمي وغير المعلن الذي حصلت عليه السلطات الرسمية من حزب الله في طريقة مقاربته ما يجري وراء الحدود اللبنانية: يتعامل حزب الله مع ما يدور في اسرائيل بالقطعة، بالاستناد الى الفعل ورد الفعل لتأكيد استعداده وتأهبه في اي لحظة للمواجهة الشاملة اذا حان أوانها. وهو مغزى الاحداث المتنقلة بين القطاعات الثلاثة جنوباً: الغربي والاوسط والشرقي. كل حادث يصير الى تقدير رد الفعل عليه تبعاً لوقوعه ولحظته.

لم يتوقع المسؤولون اللبنانيون مبادرة عبداللهيان الى الكشف عن موقف حزب الله في المرحلة المقبلة حيال تطور الحرب في غزة، رغم يقينه ان حكومته وحلفاءها في المنطقة لن يسمحوا بتجاوز الخطوط الحمر. لم يتخطَّ تكرار ما اكده مرتين، في السرايا اولاً ثم في وزارة الخارجية، ان الاستقرار والأمن سيسودان جنوب لبنان ما لم يحدث ما ليس في الحسبان، دونما اقتران الموقف هذا بأن ضمان او تطمين جدي. الموقف نفسه يسمعه المسؤولون في السرايا وفي وزارة الخارجية من السفراء الغربيين الذين يزورونهما وهم يطرحون السؤال بتهيّب، كل بطريقته وبصيغه لكنهم يتقاطعون من حوله: «ماذا يعتزم ان يفعل حزب الله او سيفعل؟»، و«حاولوا معه ان لا يتدخل؟».

بعض السفراء الغربيين لم يتردد في القول: «دعوا اسرائيل وحماس يصفّيان حساباتهما من دون ان يتدخل حزب الله بينهما». لم يُرِد اي من السفراء هؤلاء ايلاء اي أهمية للدولة اللبنانية والسلطات حيال الموقف المطلوب منها، ما خلا الاستعانة بها لايصال رسائل حكوماتهم الى حزب الله بتجنب الانخراط في المواجهة.

«اليونيفل»: مأزق الحضور والدور

فراس الشوفي

للمرّة الأولى، منذ آب 2006، تجد القوّات الدولية العاملة في جنوب لبنان نفسها، أمام تهديد جدّي داهم باندلاع حرب واسعة بين المقاومة والعدوّ الإسرائيلي. وعلى الرغم من التوتّرات السابقة على الحدود طوال الـ 17 سنة الماضية، ومرور «ستاتيكو» الهدوء في الجنوب بلحظات عديدة حرجة، إلّا أن عمليّة «طوفان الأقصى» وما يليها من أحداث على الحدود مع فلسطين المحتلة، تضع قيادة القوّات الدولية العاملة على تنفيذ مَهامّها والحفاظ على أمنها.

ولعلّ «أخطر» ما تواجهه القوّات، هو الغموض الذي يسود الجبهة، وعدم قدرة اليونيفل على التنبّؤ بالأحداث، مع ارتباطها الوثيق بسير العمليات العسكرية للعدوان على غزّة. القائد الإسباني، الجنرال أرولدو لازارو، الذي يشارك منذ أيام في الاتصالات الدولية، وفي نقل رسائل «التهدئة والتهدئة» بين العدوّ والحكومة اللبنانية والجيش اللبناني، قدّم أول من أمس موجزاً حول الوضع في منطقة عمليات القوّات عبر فيديو مصوّر، يختصر ضبابية المشهد. قال لأثارو: «الوضع مستقر ولكن متقلّب».

«لم تغيّر اليونيفل أو تخفّض من عملياتها اليومية بشكل عام»، على ما يؤكّده الناطق الرسمي باسمها أندريا تينينتي، على الرغم من بعض التغييرات الطفيفة على حركتها، ولا سيّما خلال تبادل النيران، حيث يطلب من الموظّفين النزول إلى الملاجئ وفقاً لإجراءات السلامة. يؤكد تينينتي أن «الدوريات إجمالاً تعمل بشكل طبيعي، وكذلك تستمر النشاطات المدنية وتبادل الزيارات مع المسؤولين المحليّين في البلدات». لكنّ تينينتي يكشف عن بعض الإجراءات الأمنية المتعلّقة بالموظفين والطلب إلى عدد منهم العمل من المنزل، وتقيّد الموظفين بالحدّ من الحركة غير الضرورية وعدم التنقّل في مناطق محددة.

الهدوء الذي ساد الجنوب أول من أمس، انعكس ارتياحاً نسبياً لدى قيادة القوّات الدولية، بعد افتراض اليونيفل أن ردّ المقاومة على اعتداءات العدوّ على نقاط مراقبة تابعة لها واستشهاد ثلاثة من عناصرها، بقصف مركّز لقيادة فرقة الجليل وقيادة كتيبة تابعة للواء الغربي واستهداف ناقلة جند لجيش العدوّ، قد انتهى. لكن سرعان ما قضت اعتداءات العدوّ أمس على التفاؤل في قيادة القبعات الزرق، ولا سيما بعد قصف العدو مواقع للمقاومة والجيش اللبناني واستهدافه الصحافيين، ما أدّى إلى مقتل أحدهم وإصابة آخرين بجروح متوسطة.

> لا خطط للإخلاء بل إجراءات حماية وقلق من العناصر غير اللبنانيين

اليونيفل» تتلقّ بعدم رغبة الطرفين بالتصعيد، لكنها تخشى الانزلاق». وعلى عكس المرات السابقة، كان ميزان الردع القائم مانعاً لنشوب الحرب رغم التوتّرات. إلّا أنّ قيادة «اليونيفل» لا تدرك هذه المرّة كيف تفرض مجريات الأحداث اختلال المعادلات الدقيقة. وهي ترصد في الوقت ذاته، حذراً شديداً من الأطراف، على عدم وقوع سوء تفاهم، من جانب المقاومة ومن جانب العدوّ، مع جاهزية كل طرف للتصعيد تمسّكاً بميزان الردع.

ما ينطبق على المقاومة بالنسبة إلى اليونيفل، لا ينطبق على فصائل المقاومة الفلسطينية ومجموعات غير منظّمة من الفلسطينيين، إذ إن قيام الفلسطينيين بنشاط عسكري ضد العدوّ على غرار عمليّة سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في الضهيرة، أمر محتمل، وهو أكثر ما تخشاه، خصوصاً أن إبعاد الفلسطينيين عن الحدود أمرٌ شبه مستحيل.

لكن في حال وقعت الحرب، ماذا سيكون موقف القوات الدولية؟

لا تبدو أن خطط الإخلاء واردة، خصوصاً أن مهمة الأمم المتحدة بقيت في لبنان منذ بدء مهمتها رغم الاستهدافات المجزرة التي ارتكبها العدو في الأمم في بلدة قانا الجنوبية في عدوان عام 1996. كما أن سلوك جيش الاحتلال مع انطلاق الدعم الأميركي السياسي والعسكري غير المحدود، باستخدام القوّة الهوجاء، ينبئ بحدوث خطر على جنود وعناصر اليونيفل، خصوصاً أن العدو لم يكن يرتدع عن تهديد اليونيفل خلال المرحلة الماضية، على غرار ما فعله مع السفينة الإندونيسية يومي 6 و7 حزيران 2022، إذ حاصرت بحرية العدو سفينة إندونيسية تابعة للقوات الدولية، بواسطة ست طائرات حربية وبارجة سافر 4,5 في اليوم الأول، ووجّهت نحوها إشعالات نارية انفجرت على مقربة منها وعرضت جنودها للخطر، وشنّت عليها والبارجة الحربية. ثمّ كرّرت في اليوم التالي عمليّة الحصار والإطباق الراداري من طقم الأسلحة الجوية والبحرية ذاته، ما جعل السفينة هدفاً جاهزاً، بحيث كاد أيّ خطأ تقني يحوّل الحادثة إلى كارثة على الدبلوماسية الإندونيسيين.

استشهاد صحافيّ... وحزب الله يتوعّد بالردّ

بقي التوتر مسيطراً على القرى الحدودية أمس، مع تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية التي وصلت ذروتها مساءً باستهداف العدو صحافيين في بلدة علما الشعب، بقذيفة من دبابة ميركافا في موقع الحمرا، ما أدّى إلى استشهاد مصوّر وكالة «رويترز» الصحافيّ عصام عبدالله، وجرح ستة من مراسلي ومصوّري عدد من وكالات الأنباء ووسائل الإعلام الأجنبية العاملة في لبنان، نُقلوا إلى مستشفيات المنطقة وسط استنفار للجيش اللبناني وقوات اليونيفل.

وسبق الاستهداف الإسرائيلي الصحافيين قصف مدفعي إسرائيلي عصراً طاول مناطق حدودية عدة، إثر انطلاق صفّارات الإنذار في الجليل الغربي خشية عملية تسلّل، أعقبها العدو بدعوة سكان مستوطنة حانيتا القريبة إلى الاختباء في منازلهم. وتحدّث المتحدث باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي عن أضرار لحقت بالسياج الحدودي عند المستوطنة المذكورة بعد وقوع انفجار بجانبه ألحق به «أضراراً طفيفة»، وقال إن وحداته ردّت بقصف مدفعي باتجاه الأراضي اللبنانية، متّهماً «مجموعة فلسطينية» بأنها حاولت التسلّل من دون أن تحقّق هدفها.

وللمرة الأولى منذ بدء التطورات الميدانية في جنوب لبنان ربطاً بعملية «طوفان الأقصى»، قصف العدو الإسرائيلي برج مراقبة غير مشغول للجيش اللبناني في خراج بلدة علما الشعب.

وفي إطار معادلة الردع المناسب على اعتداءات جيش الاحتلال المواقع الإسرائيلية التالية: موقع العباد، موقع مسكفعام، موقع رامية، موقع جل العلام، بالأسلحة المباشرة والمناسبة، مؤكّداً تحقيق إصابات دقيقة فيها.

وتعليقاً على استهداف الصحافيين، أكّد حزب الله في بيان أن «هذه الجريمة النكراء بقتل المواطنين اللبنانيين والمقيمين على الأراضي اللبنانية، وأيّ اعتداء على أمن شعبنا وسلامة بلدنا لن يمرا دون الرد والعقاب المناسبيْن».

واستدعت عملية الاستهداف للأطقم الصحافية مواقف سياسية ونقابية مُنَدّدة بالجريمة الإسرائيلية. فسأل رئيس مجلس النواب نبيه بري: «هل يحتاج المجتمع الدولي إلى دليل بأن إسرائيل ومستوياتها السياسية والعسكرية تريد ممارسة إجرامها وعدوانيتها من دون شهود على الحق والحقيقة؟». واعتبر رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي أن الاستهداف «وصمة عار جديدة تضاف إلى سجلّ العدو الإسرائيلي الأسود في القتل والعدوان».

> قاسم: نعرف واجباتنا وسنقوم بها عندما يحين وقتها

ووضعت «نقابة الصحافة اللبنانية» هذه المجزرة «التي تضاف إلى المجازر التي ترتكبها قوات الاحتلال والآلة العسكرية الإسرائيلية بحق الصحافيين»، مؤكّدة أن «المنطقة التي كانوا يتواجدون فيها بعيدة من أي موقع عسكري وكانوا اتخذوا كل الإجراءات والتدابير التي تشير إلى هويتهم الصحافية». ودعا «مجلس نقابة العاملين في الإعلام المرئي والمسموع» الجميع إلى «الضغط لمنع الكيان الإسرائيلي من الاستمرار في استهداف الصحافيين الذين يجب أن يكونوا مُحَيَّدين عن أي استهداف». كما صدرت مواقف سياسية منَدّدة من تيار المستقبل والحزب التقدمي الاشتراكي والتيار الوطني الحر وحزب الكتائب والقوات اللبنانية وقوى سياسية أخرى.

(مروان بو حيدر)

وشهدت مناطق عدة في بيروت والجنوب والبقاع، أمس، مسيرات وتظاهرات متضامنة مع أهالي غزة، ومستنكرة للمجازر المرتكبة بحقهم. وقال نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، خلال وقفة تضامنية في الضاحية الجنوبية، إن «حزب الله يعرف واجباته جيداً ويتابع خطوات العدو ومتى يحين وقت أي عمل سيقوم به. نحن حاضرون بجهوزية كاملة ونتابع لحظة بلحظة، ولن تؤثر الاتصالات التي جرت في الكواليس من أطراف دولية لضمان عدم تدخّلنا في المعركة»، مشدّداً على أنه «لا تهمّنا بوارجكم ولا تُخيفنا تصريحاتكم وسنكون لكم بالمرصاد لتبقى المقاومة... نحن في زمن الانتصارات ولسنا في زمن الهزائم وتوقّعوا كل شيء». ووصف عملية «طوفان الأقصى» بأنها «نتيجة طبيعية لردح كبير من الزمن عانت فيه الصهاينة الفساد في الأرض. وهي عملية تأسيسية ومحطة تاريخية استثنائية ومضيئة ستكون خالدة للمستقبل وستكون معلماً أساسياً لكل المقاومين والأحرار».

(الأخبار)

لا غاز في الرقعة 9: إحباط أم مؤامرة؟

محمد وهبة

قالت مصادر وزارة الطاقة إنه يفترض أن يُصدر تحالف شركات التنقيب عن الغاز في المنطقة الاقتصادية البحرية الخاصة بلبنان، بقيادة «توتال»، بياناً رسمياً، لإعلان نتيجة الحفر في الرقعة الرقم 9، حيث تشير المعطيات الأولية إلى فشل العملية في استكشاف كميات تجارية من الغاز الطبيعي في المكمن الذي جرى الحفر فيه، وبالتالي فإنّه خلال بضعة أيام ستنطلق شركة «هالبرتون»، التي تعاقد معها التحالف لتنفيذ عمليات الحفر، نحو قبرص، لتبدأ مهمة جديدة تعاقدت عليها.

هذه النتيجة، أثارت الكثير من الشكوك بوجود «مؤامرة» على لبنان، إلا أن المصادر الرسمية قالت إن هذه الشكوك لا تبدو منطقية نظراً إلى الكلفة الكبيرة التي تكبّدها تحالف الشركات في سياق عملية التنقيب، إذ تبلغ كلفة الحفر وحدها نحو 100 مليون دولار. وحتى الآن، لا تستند الاتهامات بوجود مؤامرة على دلائل علمية موثوقة، إنّما ترتكز على نتائج مسوحات أشارت إلى وجود كميات من الغاز في البحر المتوسط، وأنه جرى اكتشاف بعضها، ولا سيما في الحقل الذي يضع الكيان الإسرائيلي يده عليه والواقع في الجزء المقابل للمكمن الذي حفرت فيه «توتال» ضمن الرقعة اللبنانية.

ورغم أن هناك تأكيدات تشير إلى وجود كميات كبيرة من الغاز في هذا المكمن، إلا أن معطيات الحفر التي تقول «توتال» إنها استخرجتها بعد حفر 3905 أمتار، تُظهر أن نسبة الكثافة في الماء الموجود داخل المكمن المحفور كبيرة، وبالتالي فإن كمية الغاز قليلة جداً فيه ولا ترقى إلى أن تكون كميات تجارية صالحة للاستخراج والبيع، وبالتالي لا داعي لمزيد من الحفر والفحوصات والأكلاف.

عملياً، يصعب الحسم بشأن هذه المعطيات من دون وجود تقارير رسمية وتقنية تحدّد بوضوح نتائج عملية الحفر، لكن يمكن طرح أسئلة: هل هناك مصلحة لأي من الأطراف بإنهاء عملية التنقيب في الرقعة الرقم 9؟ هل أخطأت «توتال» في اختيار نقطة الحفر؟ هل يمكن لشركة «توتال» تزوير النتائج بعد تكبّدها أكلافاً كبيرة؟ هل لا تزال احتمالات وجود الغاز في الرقعة 9 قائمة؟ هل لدى لبنان بدائل يمكن اعتمادها؟ هل بإمكان العدو الإسرائيلي سحب الكميات الموجودة في منطقة لبنان؟

بمعزل عن نظرية المؤامرة واحتمالات تزوير النتائج، يمكن القول بناءً على المعطيات التي سرّبت من موقع الحفر، إن عملية التنقيب، ببساطة، لم تفضِ إلى النتيجة المرغوبة، وإنه لا داعي لاستمرار البحث في هذا المكمن طالما أن النتائج تشير إلى أن الكميات المتوافرة فيه ليست تجارية وأنه لا جدوى مالية من استخراجها. وسواء كانت هذه المعطيات نهائية وحاسمة أو جرى التلاعب فيها، فإن النتائج المترتّبة عليها ستكون واضحة: لا يمكن التعويل حالياً على أن لبنان سيتحوّل إلى بلد منتج للغاز الطبيعي قريباً. وبالتالي، فإن كل الآمال والرغبات التي جرى التسويق لها بشأن «ازدهار» اقتصادي آتٍ وبيع الغاز بمليارات الدولارات على مدى العقد المقبل بالحدّ الأدنى، وصولاً إلى تسديد أموال المودعين وغيرها من الخلاصات التي جرى الترويج لها، لا محلّ لها في سياق فشل الاكتشاف في الرقعة 9.

الحديث عن فشل الاكتشاف في الرقعة الرقم 9 هو الثاني للبنان وللتحالف بقيادة «توتال»، إذ تبيّن نتيجة أعمال حفر الآبار الاستكشافية أن الرقعة الرقم 4 لا تحتوي على كميات تجارية من الغاز. يومها، جرى التشكيك أيضاً بالنتيجة التي توصلت إليها «توتال»، لكن الحديث عن الأمر خفت تدريجاً إلى أن استحوذ الحديث عن اتفاق ترسيم الحدود البحرية جنوباً، على كل النقاش بشأن وجود كميات من الغاز في المنطقة الاقتصادية البحرية الخاصة بلبنان.

وكان لبنان قد وقّع في 2018 عقداً مع تحالف شركات «توتال» (فرنسية بحصة 35%) - «إيني» (إيطالية بحصة 35%) - «نوفاتيك» (روسية بحصة 30%)، من أجل التنقيب عن النفط والغاز في الرقعتين الرقم 4 و9 في المنطقة الاقتصادية البحرية الخاصة بلبنان، إلا أن الشركة الروسية انسحبت من التحالف وتركت حصّتها للبنان، ثم أهداها لبنان إلى شركة «قطر بتروليوم» في نهاية كانون الثاني 2023 في إطار اتفاق ترسيم الحدود البحرية مع العدو الإسرائيلي. وقد أطلق التحالف عمليات الحفر في 27 آب 2023 لتستمر لنحو 47 يوماً.

طوفان الأقصى

واشنطن تصر... ورفض عربي واسع لمشروع تهجير أبناء غزة الى سيناء

«القسام» تستعدّ للاجتياح: قدراتنا الدفاعية سليمة

غزة، القاهرة - الأخبار

ثلاثة عناوين سيطرت على المشهد في فلسطين المحتلة أمس: الأول، يتعلّق بتوسيع دائرة التغطية الأميركية والغربية للعدوان الإسرائيلي المفتوح على قطاع غزة وبقية الفلسطينيين؛ والثاني، يتّصل بالمساعي الأميركية المستمرّة لأجل تغطية عملية تهجير واسعة لأبناء القطاع نحو مصر، وهو ما يثير مشكلة كبيرة بدت ملامحها بالظهور؛ والثالث، يرتبط بالاستعدادات الإسرائيلية لشنّ عملية عسكرية برية ضدّ القطاع. في الشقّ الأول، واصل وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، جولته، حاطّاً في عمّان حيث أكّد لملك الأردن، عبدالله الثاني، والرئيس الفلسطيني، محمود عباس، أن واشنطن لا تريد إطلاق أيّ تبريرات لما قامت به «حماس»، وأن الحرب الإسرائيلية للتخلّص من الحركة تشكّل مصلحة لحكومتَي رام الله وعمّان، رافضاً البحث في طلبات عباس الخاصة بسلطته، فيما طمأن عبدالله إلى أن عملية التهجير لا تطاول الضفة الغربية، طالباً منه الوقوف إلى جانب إسرائيل «في وجه عدو واحد هو حماس». أما في قطر، فقد أبلغ الوزير الأميركي المسؤولين هناك بأن الوقت غير مناسب للحديث عن وقف لإطلاق النار، لكنّه طالب، من جهة ثانية، بأن تمارس الدوحة ضغطاً كبيراً على «حماس» لأجل إطلاق سراح من سمّاهم «الرهائن غير العسكريين»، وخصوصاً الأميركيين منهم، عارضاً في المقابل إيصال مساعدات غذائية إلى غزة. وبحسب مصادر في «حماس»، فإن الاتصالات التي جرت معها، سواء من قبل قطر أو تركيا أو بعض المسؤولين الغربيين، ركّزت على ملفّ الأسرى، فيما كان ردّها هي بأنه لا وجود لرهائن لديها، بل هناك أسرى حرب، وأن أميركا لا تملك أجوبة حول سبب انخراط مواطنيها ضمن الجيش الإسرائيلي. كما أكّدت الحركة أنها لا تجد الوقت مناسباً للحديث في هذا الملفّ الآن، وأن الأولوية هي وقف العدوان على المدنيين.

(أ ف ب)

في الشقّ الثاني، كشفت مصادر متابعة للاتصالات، أن الأميركيين يضغطون لأجل إلزام القاهرة بفتح ممرّات واسعة تتيح لعشرات الآلوف من الفلسطينيين الانتقال إلى مصر. وقال الأميركيون إنهم أبلغوا المصريين بأن العملية «تستهدف نقلاً مؤقّتاً للمدنيين لأجل تجنيبهم الحرب القاسية الجارية هناك». ولفتت المصادر الانتباه إلى أن الجانب الأميركي «قال صراحة إن الأولوية الآن هي لنقل المدنيين خارج القطاع، وليس لإيصال مساعدات سوف تستغلّها حماس والقوى الأخرى في غزة». لكنّ مصادر أشارت إلى أن المصريين رفضوا مطلقاً هذا الطرح، واصرّوا على ضرورة أن تسمح إسرائيل بفتح الحدود لنقل المساعدات العاجلة إلى داخل القطاع. وهو الموقف نفسه الذي سجّله المسؤولون في الأردن، بالتنسيق مع الحكومة المصرية.

وكان لافتاً أن عواصم عربية استعجلت إبلاغ قيادات في قوى المقاومة في فلسطين وبيروت، بأن فكرة تهجير أبناء غزة مرفوضة بقوة ولن تتحقّق. وتبين لسؤولين في قوى المقاومة أن الهدف من الرسالة هذه، هو محاولة إقناعها بأن لا تسارع إلى تصعيد في المواجهات رفضاً لمشروع التهجير. وقال موفدون من مصر وقطر إن الأيام القليلة المقبلة ستشهد ضغوطاً كبيرة من أجل إدخال المساعدات اللازمة إلى داخل القطاع، وأنه تمّ إبلاغ الأمم المتحدة ومنظمات إنسانية دولية برفض استقبال أي بعثة لا تريد الدخول إلى غزة. وتبين أن القاهرة كانت تلقت طلبات من منظمات دولية تعنى بالإغاثة، لأجل فتح مكاتب لها في منطقة العريش بحجة توفير قواعد لوجستية لتوفير المساعدات لأبناء القطاع بعد إقفال إسرائيل معبر رفح من الجانب الفلسطيني.

وكانت القاهرة، وعلى إثر تأكيد الرئيس عبد الفتاح السيسي رفض تهجير أهالي غزة إلى سيناء، أطلقت أكبر حملة تبرّعات لدعم سكان القطاع، سواء بالمواد الغذائية والأموال، أو حتى من خلال التبرّع بالدم في ظلّ حاجة «الهلال الأحمر الفلسطيني» إلى كميات كبيرة منه سيجري إدخالها مع المواد الطبية خلال الأيام المقبلة. وأبلغت مصر جميع المنظمات الدولية والحكومات العربية والغربية بأنها خصّصت مطار العريش لاستقبال المساعدات الإنسانية المقرّر إدخالها إلى القطاع، في أوّل تشغيل تجاري للمطار منذ سنوات. كما مارست القاهرة ضغوطاً عبر الاستخبارات ووزارة الخارجية لتأمين ممرّ للمساعدات، في حين تتواصل الضغوط عليها من أجل فتح ممرّ آمن لأفراد. ووفق مصادر مصرية تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن القاهرة لديها خطّة لإدخال كميات كبيرة من الوقود بشكل فوري، بما يسمح بتوفير تغذية لمحطّة الكهرباء الوحيدة في القطاع، إلى جانب تغذية كهربائية لأيام لمستشفى «الشفاء» وبعض المستشفيات الأخرى، وهي الخطّة التي تحتاج إلى أقلّ من 6 ساعات لتنفيذها، تتوقّف في خلالها الغارات الجوية، ويُحدَّد مسار آمن لتحرّك السيارات.

وأشارت المصادر إلى أن القصف الجوي المجنون دمّر أحياء كثيرة في المنطقة الشمالية، وأن العدو بدأ يلجأ إلى استخدام قذائف ضخمة بقصد استهداف ما يفترض أنها أنفاق هناك. ويجري الحديث عن احتمال لجوء الاحتلال إلى عملية شبيهة باجتياح لبنان عام 1982، لجهة السعي إلى السيطرة على القسم الشمالي من القطاع، وتدمير قدرات المقاومة فيه، والدفع بالسكان إلى الاتجاه جنوباً، ومن ثم نحو مصر. وفي هذا الإطار، حذّرت مصادر مصرية من أن مخطّط التهجير يحمل تداعيات كارثية سيكون من الصعب التعامل معها في المستقبل القريب، لجهة فقد سبب وجود الدمار الكبير المتوقّع في البنية التحتية ومنازل المدنيين، ولكن لضيق الوقت وصعوبة تحرّك المواطنين دفعة واحدة، فضلاً عن أن مسألة الإخلاء تعني ترجيح استهداف مزيد من المدنيين في الأيام المقبلة. وأكّدت المصادر أن «الحديث عن إيقاف التصعيد في الوقت الحالي ليس مطروحاً»، ولكن «البحث يجري راهناً فقط عن هدنة إنسانية لساعات وربّما ليوم واحد من أجل المدنيين العُزّل»، وهو الأمر الذي تُجري حوله «مفاوضات شاقّة ومعقّدة للغاية، خاصة مع الأميركيين، وبمشاركة خليجية ممثّلة بقطر».

أما بشأن الملف الثالث المتصل بالعملية البرية، فإن المعطيات المتوافرة لدى قيادة «حماس» في غزة، لا تشير إلى جهوزية واضحة لدى جيش الاحتلال لذلك، لكنّ الحركة وبقية الفصائل فعّلت الخطة الدفاعية، فيما يؤكد قادتها أن العدو تنتظره معركة قاسية وربّما أكثر قساوة من الذي حصل سابقاً. كما أكّدت المقاومة أن جهوزيتها مستمرة لأجل الاستمرار في إطلاق الصواريخ النوعية على العمق الإسرائيلي، حيث كان البارز أمس إطلاق صاروخ بعيد المدى وصل إلى منطقة صفد القريبة من الحدود مع لبنان، وهو صاروخ خاص، ويُجري العدو فحصاً لطبيعته. وكان أعلن، صباح الجمعة، عن بلاغ إسرائيلي إلى الأمم المتحدة بوجوب تهجير سكان شمال غزة إلى جنوبها، في ما قالت مصادر متعدّدة إن الهدف منه التمهيد لعملية عسكرية تستهدف أساساً شمال القطاع، والذي يعتقد العدو أنه مقرّ إطلاق الصواريخ التي تهدّد عسقلان وتل أبيب وبقية العمق.

وقال مصدر في «حماس»، في حديث إلى «الأخبار»، ليل أمس، إن قيادة «كتائب القسام» أجرت معاينة لقواتها ووحداتها المقاتلة بعد الغارات العنيفة، وإن حجم الإصابات في صفوفها محدود جداً، وإنه لم تتم إصابة أي نفق، وإن الأسلحة الخاصة بمواجهة الحملات البرية لا تزال سليمة كلها. وقال المسؤول إن الحركة «تعد مفاجآت لقوات الاحتلال التي قد تستخدم في هجوم بري سواء من شمال القطاع أو وسطه أو حتى جنوبه».

والواقع أنه إذا ما قرّر جيش الاحتلال البقاء في القطاع أو بعض المناطق فيه، فستمثل أمامه تحدّيات كثيرة، وعلى رأسها الحاجة إلى قوة نارية كبيرة، والتنسيق بين القوات البرية وتلك الجوية، وتحمّل تكلفة الضربات التي سوف تتلقّاها وحداته في ظلّ تأهّب أكثر من 40 ألف مقاتل من «كتائب القسام»، والجهوزية التامة لآلاف المقاتلين من بقية الفصائل المقاومة. وبينما يحتاج الاجتياح البري إلى الدفع بمئات الآلاف الجنود (نحو 400 ألف جندي من قوات الاحتياط)، فهو يوفّر مساحات كبيرة للمقاومين للقيام بعمليات إنزال خلف خطوط العدو ومهاجمتها من الخلف.

> معطيات «حماس» لا تشير إلى جهوزية لدى جيش الاحتلال لشنّ عملية برية، لكنّها فعّلت والفصائل الخطة الدفاعية

كما أن على جيش الاحتلال، إذا ما أراد تحقيق «إنجاز» تشتدّ حاجته إليه، السيطرة على المواقع المركزية مثل الطرق، وتنفيذ عمليات خاصة لاغتيال القادة العسكريين، ومحاولة إنقاذ الأسرى، وهذا ما يجعل الخسائر المتوقعة في صفوفه أكثر فداحة. يُضاف إلى ما تَقدّم، أن المقاومة ستواجه الاجتياح بالعديد من الوسائل القتالية، وأولاها الأنفاق الداخلية في ظلّ تقديرات بوجود مدينة من الأنفاق أسفل قطاع غزة، ستسهّل على المقاومين تنفيذ عمليات كرّ وفر وخوض حرب شوارع ضد جنود العدو، فيما تخدم التضاريس المعقدة في غزة، والتي تبدو أشبه بمتاهة، المقاومة أيضاً، التي ستستفيد كذلك من الركام بتحويله إلى درع بوجه القوة النارية لجيش الاحتلال.

السعودية تجمّد مساعي التطبيع: يجب منح الفلسطينيّين دولتهم

في تطوّر لافت ومتصل بمجريات الحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيّين، تبلّغت مصادر دبلوماسية في عواصم عدة، بأن السعودية أبلغت الجانب الأميركي بأنها قرّرت تجميد كل الاتصالات الخاصة بمشروع التطبيع مع إسرائيل. وقالت المصادر إن السعودية أبلغت مصر والأردن، بأنها تقف إلى جانبهما في رفض مشروع تهجير الفلسطينيين إلى خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وأضافت المصادر، أن الولايات المتحدة قلقة من «تحولات أكبر» في الموقف السعودي جراء ما يحصل في غزة، وأن الرياض تحدّثت صراحة أمام مسؤولين من مستويات مختلفة، بأن الظروف لم تعد صالحة الآن للشروع في التطبيع.

ونقلت المصادر عن دبلوماسي أميركي قوله، بأن السعودية كانت في خلال المحادثات تطلب من الولايات المتحدة ثمناً للتطبيع يقوم على منحها الحق في امتلاك مفاعلات نووية لأغراض سلمية، وأن توقّع واشنطن معها اتفاقاً دفاعياً لمنحها امتيازات الأعضاء في حلف الناتو، وأنها ترأخت في الملف الفلسطيني لجهة حصر المطالب بـ«حسين شروط الحياة للسكان الفلسطينيّين».

وبحسب الدبلوماسي الأميركي فإن السعودية أبلغت واشنطن وآخرين خلال اليومين الماضيين، بأن «مشروع التطبيع لم يعد سهلاً». وأنه بمعزل عن نتائج الحرب القائمة في غزة، فإن الأمر لم يعد يحتمل طلباً يقلّ عن تنفيذ مبادرة السلام العربية التي اقترحتها السعودية في قمة بيروت عام 2002 والتي تتطلب الحصول على دولة فلسطينية حقيقية».

وأمس، أبرزت السعودية موقفاً بدا لافتاً هو الآخر، بإعلان وزير الخارجية فيصل بن فرحان، أنه طلب من الدول الأعضاء في مجلس الأمن الحالي، ضرورة «اضطلاع المجلس والمجتمع الدولي بمسؤوليتهما في حفظ الأمن والسلم الدوليين، وتجاه الوصول إلى حلّ عادل وشامل للقضية الفلسطينية، وإدخال المواد الطبية والإغاثية للشعب الفلسطيني». وأن الوزير ناقش مع وزراء خارجية الدول الأعضاء في مجلس الأمن «التنسيق المشترك في ما يخص الدفع بوقف التصعيد العسكري، ورفع الحصار عن غزة».

وبحسب البيان الرسمي السعودي فإن الوزير ابن فرحان أكد «أهمية تنفيذ قرارات مجلس الأمن بشأن القضية الفلسطينية، وتحديداً الأرقام «242» (1967) و«338» (1973) و«1515» (2003) و«2334» (2016) بما يؤسس لحلّ عادل وشامل للقضية الفلسطينية وفق المرجعيات الدولية ذات الصلة، مجدّداً رفض السعودية القاطع لاستهداف المدنيين بأي شكل، وأهمية المساهمة في إدخال المساعدات الإغاثية والإنسانية للمدنيين».

(الأخبار)

مجازر العائلات: الغزيّون لا يموتون فرادى

بيروت حمود

1800 شهيد، وآلاف الجرحى، وعدّاد الموت في غزة لا يكفّ. لكنّ الرقم على فظاعته لا يعود مهماً حين يصبح الوجود شاهقاً إلى حدّ لا تبلغه الأبصار. فلكلّ شهيد حكايته التي ستمتدّ إلى ما لا نهاية في عالم موازٍ لا يُسمعُ فيه رعيد الصواريخ، ولا تُحترقُ فيه الأجساد بالفوسفور، ولا تُصمّ فوقه الطائرات جمعها، ولا تُدمّر فيه الأبنية، ولا تُسوّى فيه حارات كاملة بالأرض، ولا يمشي فيه الناس هائمين على وجوههم، حفاة متأبّطين حقائبهم من موت إلى موت، وتحت رَحَيات من نار. يوم السبت الماضي، شهقت أمّ نبيلة نوفل حين وضعت طفلتها أخيراً، وسُمع صوت بُكائها في أروقة المستشفى. الجيران والأقارب عدّوا الطفلة بشارة خير ومعجزة أتى بها «طوفان الأقصى»، ومنذ ذلك الحين صار اسمها نبيلة. لكنّ حياة نبيلة، ابنة الأيام السبعة، انتهت أمس، بكبسة زرّ من طيّار إسرائيلي كان يحتجّ بوقاحة في شارع «ديزينغوف» في تل أبيب منذ شهور، مُطالباً بالحفاظ على طابع «حدائق وديموقراطي» لدولته التي سرقت أرض نبيلة وأجدادها. كان يحتجّ لكي «ينجو» من المساءلة في عالم الغرب الأبيض الذي يفضّل القتل بـ«الشوكة والسكين وكأس من النبيذ الفاخر». لكن مع حلول يوم السبت، اطمأنّ هذا الطيار أخيراً إلى أن بإمكانه مسح غزة عن بكرة أبيها، فيما الغرب الأبيض يصفّق له، ويمدّه بوقود الانتقام اللازم، ويشجّعه على سحق مليونَي إنسان مثلما تُسحق قطعة بسكويت.

في خَضمّ الجحيم المستعر هذا، كانت نبيلة من بين المحظوظين؛ إذ لفّها مشيّعوها بقطعة قماش خضراء عليها شريط أبيض، وعلى الأخير كُتبت بخطّ عريض عبارة: الشهيدة نبيلة نوفل، فيما كثيرون لم تتبقَّ منهم سوى آثار توضع في أكياس بيضاء ويُكتب عليها، إشلاء، محظوظة هي لأن هناك من بقي ليتعرّف إلى هويتها، والآن ستكون محظوظة أكثر إن تمكّنوا من دفنها في قعر الأرض، قبل أن يأكلها الدود فوقها، لأن ثلاجات الموتى اكتظّت، والمقابر في درجة التشبّع، والمشيّعين قد يقضون هم أيضاً في طريقهم إلى مُناك. هل بكت نبيلة قبل القصف طالبةً رضعتها الأخيرة؟ أكانت تشعر بالبرد؟ هل كانت أمها تحاول تهدئتها؟ أكانت تسمع صوتها وهي تغنّي «يلا تنام» وهدأت؟ أم ظلّت تبكي؟ يقول من خبروا الحرب إن هواء ساخناً يهبّ حين تقصف الطائرات، ثمّ يهدأ كلّ شيء. لكن كلّ شيء هناك يظلّ يصرخ حتى الموت، مطلقاً صوتاً أشبه بخروج المارد من قمقمه، إلا نبيلة التي أغمضت عينيها بصمت أمام عدسات الكاميرا، ولم يعُد أحد يسمع صوت بُكائها، ولا أحد بعد الآن سيكون بمقدوره أن يعرف ما إن كانت تشعر بالبرد أم بالجوع.

فجر أول من أمس، استشهد 44 فلسطينياً من عائلة واحدة هي عائلة شهاب، بفعل غارة إسرائيلية على منزلهم في جباليا، بينما كانوا نياماً. هكذا، ببساطة كبسة زرّ لم يبقَ منهم أحد، فيما «فاز» الطيار الذي يعمل في أوقات الفراغ خارج خدمته الاحتياطية، في إحدى شركات «الهايتك» في مستوطنة «يُكونعام» جنوبي حيفا المحتلة، كبطل لعبة عنف إلكترونية تتمتّع فيها إسرائيل بميزة امتصاص دم الأجساد الفلسطينية، أو «الحيونات البشرية» التي أوجدها «يهوه» لخدمة بني إسرائيل المتفوّقين عرقياً، بالضبط مثل الآريين.

عبد الرحمن شهاب، فكّر، من جهته، أن ينجو بنفسه. قبل سنوات، فكّت إسرائيل قيوده، وأطلقته إلى قطاع غزة بعد 20 عاماً قضاها في معتقلات الاحتلال. شأنه شأن نبيلة، يبدو محظوظاً عبد الرحمن، إذ طبّق وصية الشاعر الأينودي: «إوعى تعيش يوم واحد بعد عيالك/ إوعى يا عبد الرحمن/ في الدنيا أوجاع وهموم أشكال وألوان/ الناس مابتعرفهاش. أوعرهم لو حتعيش/ بعد عيالك ماتموت/ بساعتها بس... حتفرح إنه هوّه الموت». أخذ معه زوجته ونجله بلال وابنتيه لوتس وريتا. لم يذرف

> فجر أول من أمس، استشهد 44 فلسطينياً من عائلة واحدة هي عائلة شهاب، بفعل غارة إسرائيلية

أحدٌ دمعة واحدة على عبد الرحمن، لا بل حسدوه لأنه استشهد مع عائلته، فالقانون الساري هناك هو: عائلة أفضل من فرد. أخيراً لا يطبّقون هذا القانون، بل يواصلون الإصرار على الحياة، فيوزّعون فلذات أكبادهم على حارات عدّة، لعلّ حارة واحدة بينها تنجو فيبقى للعائلة أثر واسم.

«قتلت إسرائيل قبل قليل أغلى الناس على قلبي، قتلوا قلبي حرفياً. أختي حبيبة قلبي وروحي وعمري كله وبناتها وأولادها وزوجها. ارتكبوا مجزرة في حياتي. أسمع شيئاً واحداً يتردّد في أذني منذ الصباح ولا أقوى على فعل شيء. تقول إيلين وسيلين ابنتا أختي (هديل) جملتهما المشهورة على الهاتف: «خذنا عندك يا خالو. بنفع أجي أنا يا خالو؟». هذا ما كتبه كريم أبو الروس، بعد تلقّيه نبأ استشهاد أقاربه في قصف استهدف منزل آل الخياط في رفح، بينما يقيم هو في غربته في بلجيكا، كونه متزوّجاً من ميساء منصور، ابنة مجد الكروم في الأراضي المحتلة عام 1948، وإسرائيل لا تسمح لهما بالعيش معاً في أيّ مكان من فلسطين والآن، لم تتوزع إسرائيل نفسها عن إبادة فكرة أن يلهو طفلهما غسان وإبناء عمّته هديل معاً.

أمّا أمّ سمير القطناني، فلم تكن أبواب السماء مفتوحة لصرخة أطلقتها مطلع العام في وداع نجلها الثالث، حين خاطبت الربّ قائلةً: «يا ربّ أعطيتني ياهن ستة شباب وبتوخذهن مني واحد واحد. وأنا يا رب ليش مش معهم؟». لكن أخيراً، أجاب الله سؤالها و«أخذها» مع خمسة عشر آخرين من عائلتها دفعة واحدة في أوّل صاروخ قذفته الطائرات الحربية الإسرائيلية، وفي منطقة الصفطاوي شمالي غزة، حطّ «يوم القيامة» ليل أول من أمس، حيث رمت الطائرات كتل الجحيم على خمسين فلسطينياً من عائلة أبو حية. من حضر «يوم القيامة» هذا، راح يحفر الركام بحثاً عن حياة: لا ضوء، لا جرافة، لا معدّات حفر... لا شيء، فقط أظفار وأيدٍ مُدماة فحسب. وفجأة، بدأ الأحياء يخرجون من باطن الأرض، وجوههم مغبرّة، وكأنهم صعدوا إلى السماء في زمن غابر، وعادوا. هؤلاء يُسمونهم في قاموس الحرب «السالمين». أطبق الركام على قصص كثيرة هناك: طفلة انتُشلت وهي تسدّ أذنيها، طفلٌ قضى في حضن والده، عائلة بأكملها على مائدة العشاء لم يتبقَّ منها أحد ليروي ما كان آخر حديثها قبل القصف، قطط تمشي هائمة وباحثة عن شربة ماء... وعن يد صاحبها، يد واحدة مرفوعة تلوّح من العالم الآخر.

> شنّت قوات الاحتلال حملات اعتقال في الضفة هي الأوسع، طاولت على الأقلّ 60 مواطناً

في الضفة لتنفيذ عمليات اعتقال، تصدّى لها المقاومون وانْدلعت على إثرها اشتباكات مسلّحة، أكّدت فصائل في الضفة هي الأوسع، أنها نجحت في تكبيد الاحتلال خسائر مباشرة بفعل العبوات الناسفة التي استخدمتها، خصوصاً في بلدة بيت أمر في مدينة الخليل، حين حاصر جنود العدو شباناً داخل منزل لعدة ساعات وطالبوهم بتسليم أنفسهم، قبل أن ينسحبوا مدفوعين بفشلهم في اعتقالهم، وكذلك في بلدة قباطية جنوب جنين.

وكان ارتقى، يوم الخميس فقط، 5 فلسطينيين، أحدهم في اشتباك مسلّح مع قوات الاحتلال في القدس المحتلة، وأربعة آخرون بينهم أمرأة في اعتداءات جنود العدو ومستوطنيه على مناطق متفرقة في الضفة. ونفّذ الشاب خالد محتسب (21 عاماً) من بلدة بيت حنينا عملية إطلاق نار على مقرّ شرطة الاحتلال قرب باب السارهة بسلاح بدائي مصنّع محلياً، ما أسفر عن إصابة عنصرين في الشرطة أحدهما بجروح خطيرة. وتبنّت العملية «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، والتي قالت إنها تأتي «التحاماً مع مقاومينا في غزة وهم يخوضون معركة طوفان الأقصى»، بينما أصيب شاب بجروح خطيرة بعد إطلاقه النار على قوات الاحتلال غرب رام الله، ما أسفر عن إصابة جندي.

وفي المقابل، بات واضحاً أن جنود الاحتلال يستسهلون إطلاق النار على الفلسطينيين تطبيقاً لتعليمات إطلاق النار الجديدة التي أقرّتها قيادتهم، ورغبة بالانتقام من الفلسطينيين، وهذا ما يفسّر منح الضوء الأخضر لعصابات المستوطنين الإرهابية، والتي شنّت هجوماً واسعاً مساء الخميس، استهدف محالّ تجارية وممتلكات للمواطنين في بلدة حوارة قرب نابلس، إلى جانب عشرات الهجمات التي شُنّت في اليوم نفسه، ومنها واقعتا خطف وإطلاق نار. وأتى ذلك في وقت شدّدت فيه قوات الاحتلال من إجراءاتها الأمنية وحواجزها في الضفة والقدس، ما جعل الأخيرتَين أقرب إلى سجون صغيرة، يتعرّض سكانها لعقاب جماعي.

وشنّت قوات الاحتلال حملات اعتقال في الضفة هي الأوسع، طاولت على الأقلّ 60 مواطناً من بينهم 30 معتقلاً من محافظة الخليل، بينهم نواب من المجلس التشريعي محسوبين على حركة «حماس»، وقياداتها، وأسرى سابقون، بالإضافة إلى فتاة من القدس. كما نُفّذت، خلال حملات الاعتقال، عمليات تنكيل وتخريب كبيرة داخل منازل المعتقلين، فضلاً عن الاعتداءات بالضرب المبرح، والتهديدات بإطلاق النار على المعتقلين وعائلاتهم. وقال «نادي الأسير»، في بيان، أمس، إن حصيلة الاعتقالات في الضفة منذ السابع من تشرين الأول الجاري، بلغت أكثر من 260، إلى جانب العشرات من العمال الفلسطينيين من غزة، والذين حتى الآن لم تُعرف أعدادهم بدقّة.

وبالتوازي مع ذلك، بدأ الحراك الجماهيري في الداخل المحتل إسناداً لقطاع غزة والمقاومة، إذ شهدت مدينة أم الفحم، مساء الخميس، مسيرة شعبية، استبقتها شرطة الاحتلال بإجراءات عسكرية مشدّدة وانتشار مكثف، واعتقلت خلالها 4 شبان، فيما أطلق سراح الناشط محمد طاهر جبارين، الذي كان قد اعتُقل في وقت سابق. وشاركت عشرات المركبات والدرّاجات النارية في المسيرة التي جابت بعض أحياء المدينة، وسط انتشار عناصر شرطة الاحتلال المدجّجين بالسلاح في محاولة لترهيب الأهالي، بينما من المتوقّع أن يشهد الداخل المحتلّ مسيرات مشابهة. وتفرض قوات الاحتلال قبضة حديدية على الفلسطينيين في الداخل، وتشنّ بين حين وآخر عمليات اقتحام شرسة لاعتقال النشطاء والشبان، وتفرض على المعتقلين منهم حكومات سجن عالية في محاولة لردعهم خاصة بعد «هبة الكرامة» في عام 2021. ومع بدء العدوان على غزة، أقدمت مواقع عمل إسرائيلية على إيقاف عدد من العمال والعاملات عن عملهم بادّعاء «تأييدهم لحماس ودعمهم للإرهاب»، سواء من خلال وديعتهم مع العمال اليهود في موقع العمل أو من خلال كتابة منشورات عبر شبكات التواصل الاجتماعي أعربوا فيها عن تضامنهم مع غزة.

الضفة تستلهم غزة: «الطوفان» يطرق باب المستوطنات

رام الله ـ أحمد العبد

ما إن انتهت صلاة الجمعة أمس، حتى عمّ «طوفان الأقصى» الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها، بمسيرات حاشدة شارك فيها عشرات الآلاف المواطنين، ومواجهات عنيفة امتدّت من مدينة جنين إلى الخليل، وارتقى فيها 14 شهيداً وأصيب المئات بجروح مختلفة، ليرتفع عدد الشهداء منذ بدء المعركة إلى 49. وسُجّل أعنف الاشتباكات في شمال الضفة، حيث خاض عشرات المقاومين قتالاً للمرة الأولى عند مداخل مستوطنات غرب جنين بعدما حاولوا اقتحام مستوطنة «شاكيد»، ومدخل مستوطنة «ميراف» شرق جنين، وكذلك قرب قرية جلبون في القضاء نفسه. وإثر ذلك، أعلنت «كتائب القسام» و«كتيبة جنين» بدء «طوفان الضفة» وتنفيذ «سلسلة من العمليات الهجومية ضد حواجز ومواقع عسكرية وتحقيق إصابات مباشرة في صفوف العدو».

وفي مناطق مختلفة من الضفة، نُفّذت العشرات من عمليات إطلاق النار، مستهدفةً جنود الاحتلال وحواجزه ومستوطناته. وفي إطار هذه العمليات، استشهد 5 فلسطينيين في مدينة طولكرم حين كانوا يخطّطون لتنفيذ عملية خلف خطوط العدو والوصول إلى شارع رئيس تسلكه مركبات المستوطنين. كما اندلعت مواجهات في عدّة نقاط شاقّة ومعقّدة للغاية، خاصة مع الأميركيين، وبمشاركة أمّا بشأن الملف الثالث المتصل بالعملية البرية، فإن المعطيات المتوافرة لدى قيادة «حماس» في غزة، لا تشير إلى جهوزية واضحة لدى جيش الاحتلال لذلك، لكنّ الحركة وبقية الفصائل فعّلت الخطة الدفاعية، فيما يؤكد قادتها أن العدو تنتظره معركة قاسية وربّما أكثر قساوة من الذي حصل سابقاً. كما أكّدت المقاومة أن جهوزيتها مستمرة لأجل الاستمرار في إطلاق الصواريخ النوعية على العمق الإسرائيلي، حيث كان البارز أمس إطلاق صاروخ بعيد المدى وصل إلى منطقة صفد القريبة من الحدود مع لبنان، وهو صاروخ خاص، ويُجري العدو فحصاً لطبيعته. وكان أعلن، صباح الجمعة، عن بلاغ إسرائيلي إلى الأمم المتحدة بوجوب تهجير سكان شمال غزة إلى جنوبها، في ما قالت مصادر متعدّدة إن الهدف منه التمهيد لعملية عسكرية تستهدف أساساً شمال القطاع، والذي يعتقد العدو أنه مقرّ إطلاق الصواريخ التي تهدّد عسقلان وتل أبيب وبقية العمق.

وقال مصدر في «حماس»، في حديث إلى «الأخبار»، ليل أمس، إن قيادة «كتائب القسام» أجرت معاينة لقواتها ووحداتها المقاتلة بعد الغارات العنيفة، وإن حجم الإصابات في صفوفها محدود جداً، وإنه لم تتم إصابة أي نفق، وإن الأسلحة الخاصة بمواجهة الحملات البرية لا تزال سليمة كلها. وقال المسؤول إن الحركة «تعد مفاجآت لقوات الاحتلال التي قد تستخدم في هجوم بري سواء من شمال القطاع أو وسطه أو حتى جنوبه».

والواقع أنه إذا ما قرّر جيش الاحتلال البقاء في القطاع أو بعض المناطق فيه، فستمثل أمامه تحدّيات كثيرة، وعلى رأسها الحاجة إلى قوة نارية كبيرة، والتنسيق بين القوات البرية وتلك الجوية، وتحمّل تكلفة الضربات التي سوف تتلقّاها وحداته في ظلّ تأهّب أكثر من 40 ألف مقاتل من «كتائب القسام»، والجهوزية التامة لآلاف المقاتلين من بقية الفصائل المقاومة. وبينما يحتاج الاجتياح البري إلى الدفع بمئات الآلاف الجنود (نحو 400 ألف جندي من قوات الاحتياط)، فهو يوفّر مساحات كبيرة للمقاومين للقيام بعمليات إنزال خلف خطوط العدو ومهاجمتها من الخلف.

> معطيات «حماس» لا تشير إلى جهوزية لدى جيش الاحتلال لشنّ عملية برية، لكنّها فعّلت والفصائل الخطة الدفاعية

كما أن على جيش الاحتلال، إذا ما أراد تحقيق «إنجاز» تشتدّ حاجته إليه، السيطرة على المواقع المركزية مثل الطرق، وتنفيذ عمليات خاصة لاغتيال القادة العسكريين، ومحاولة إنقاذ الأسرى، وهذا ما يجعل الخسائر المتوقعة في صفوفه أكثر فداحة. يُضاف إلى ما تَقدّم، أن المقاومة ستواجه الاجتياح بالعديد من الوسائل القتالية، وأولاها الأنفاق الداخلية في ظلّ تقديرات بوجود مدينة من الأنفاق أسفل قطاع غزة، ستسهّل على المقاومين تنفيذ عمليات كرّ وفر وخوض حرب شوارع ضد جنود العدو، فيما تخدم التضاريس المعقدة في غزة، والتي تبدو أشبه بمتاهة، المقاومة أيضاً، التي ستستفيد كذلك من الركام بتحويله إلى درع بوجه القوة النارية لجيش الاحتلال.

طوفان الأقصى

مقابلة | أجراها وليد شرارة

المؤرّخ والمفكر الفلسطيني رشيد الخالدي

«طوفان الأقصى» فشل أميركي بقدر ما هو إسرائيلي
ضربة قد تكون قاتلة للتطبيع السعودي - الإسرائيلي

لم يعُد موضع نقاش أن الإدارة الأميركية قد منحت الحكومة الصهيونية ضوءاً أخضر لشنّ عدوان طويل الأمد وواسع النطاق ضد قطاع غزة بهدف القضاء على حركة «حماس» وبقية فصائل المقاومة، وتهجير أهله وتدمير القسم الأعظم منه. في الواقع، فإن هذه الإدارة شريك كامل في هذه العملية، ليس لأنها تؤمّن التغطية السياسية الكاملة لها، وكذلك الدعم العسكري للجيش الصهيوني، بل أيضاً لأنها تستقدم حاملات طائراتها وتهدّد بالحرب ضدّ أطراف محور المقاومة الآخرين، في حال قرّروا التدخل عسكرياً في المعركة الجارية. لقد اتّضح خواء شعارات من نوع «تخفيض التوتر» و«التخفّف من أعباء الشرق الأوسط» للتركيز على أولويات أخرى، في شرق آسيا وفي أوكرانيا أساساً، رفعتها هذه الإدارة في السنوات الماضية، لأنه بمجرّد أن استغاث «الوكيل» الإسرائيلي، هرع «الأصيل» لنجدته، ونسي الأولويات المذكورة ومتطلباتها. لكن التلويح بالحرب شأنٌ، والاستعداد لخوضها فعلياً شأنٌ آخر، بالنسبة إلى إدارة تعرف مدى معارضة قطاعات عظيمة من رأيها العام لمثل هذا الخيار، وما قد يترتّب عليه من نتائج سياسية داخلية وانتخابية. عن خلفيات المواقف الإدارة جو بايدن الأخيرة وتداعياتها المحتملة، وعن مدى اتساقها مع إستراتيجيتها العامة المعلنة، وعن قضايا أخرى ذات صلة، أجرت «الأخبار» مقابلة مع المؤرّخ والمفكّر الفلسطيني، رشيد الخالدي، أحد أبرز المتخصّصين في شؤون السياسة الخارجية الأميركية، الحائز على «كرسي إدوارد سعيد» في جامعة كولومبيا، ومدير «مجلة الدراسات الفلسطينية» في الولايات المتحدة. وللخالدي مجموعة من الكتب المرجعية عن القضية الفلسطينية والسياسة الأميركية، أخرها «حرب المئة عام على فلسطين - الاستعمار الاستيطاني والمقاومة».

■ ما مدى جدية التلويح الأميركي بإمكانية الدخول في حرب إلى جانب إسرائيل، بعد إرسال حاملة الطائرات «يو أس أس جيرالد فورد» إلى شرق المتوسط، وتوجّه أخرى، هي «دوايت أيزنهاور»، نحو المنطقة؟ الجواب على هذا السؤال صعب، لأنه ليست لدينا مصادر معلومات في داخل هذه الإدارة، ولا نستطيع الاستناد إلى تصريحات مسؤوليها. هناك التسريبات من الطرف الإسرائيلي أيضاً، والتي قد تعطي بعض التلميحات عمّا يجري الإعداد له فعلاً، إضافة إلى احتمال ترويجها لشائعات وأكاذيب. إذا استمعنا إلى كلام وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستين، يظهر من الواضح أن هاجسه والإدارة هو توسّع الحرب نحو الساحة اللبنانية، وربما ساحات أخرى في المنطقة قد تشمل إيران. ويبدو لي أنهم يستعدّون لمثل هذا الاحتمال أو لمنع حدوثه، أي لردع مثل هذه الإمكانية. بكلام آخر، نحن أمام تهديد أميركي لحزب الله وبقية قوى المقاومة، بأن تدخلها في المعركة الدائرة سيقود إلى تدخل مضاد من واشنطن. هذا ما يمكن فهمه من تلميحات الطرف الإسرائيلي، كمقالة أموس هاريل في «هآرتس»، إذ يقول إن إسرائيل بحاجة إلى إمدادات أميركية لمواجهة المقاومة في غزة، ولكن امتداد رقعة الحرب سيتطلّب تدخلاً أميركياً مباشراً في الحرب إلى جانبها، وهذا هدف إرسال حاملتَي الطائرات الى المنطقة. التهديد، كما ذكرت، ليس موجّهاً إلى المقاومة في غزة، بل إلى إيران وقوى المقاومة في لبنان، وهو محاولة لردعهما عن التدخل في مسار المعركة. لكن اللافت أيضاً هو أن الأميركيين يسرّبون أن القيادة الإيرانية لم تكن على علم بالعملية التي حدثت من غزة.

تورّط بايدن في حرب المنطقة سيخسره انتخابات 2024

■ ما هو تفسير هذه التسريبات؟

هذه الإدارة لا تريد حرباً مع إيران ستؤدي إلى خسارة الديموقراطيين الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني 2024. طبعاً، الإسرائيليون يتمنّون مثل هذه الحرب، وبعد الهزيمة التي منيوا بها في غزة، من العاقل الذي يعتقد أن في إمكانهم وحدهم مهاجمة إيران؟ ذلك سيعني حرباً مع لبنان وسوريا والعراق والمنطقة برمتها. الجيش الإسرائيلي الذي عجز عن الدفاع عن مقرّ قيادة «فرقة غزة» لن يكون قادراً على مجابهة إيران. أين كانت قدراته الاستخبارية، وتفوقه التكنولوجي والعسكري؟ بتقديري، وقد أكون مخطئاً، نحن أمام تهديدات أميركية تبغي منع اتّساع رقعة الحرب.

■ ما هو التقييم الأولي في الولايات المتحدة للهزيمة الإسرائيلية ولأسبابها؟

الحسابات السائدة لدى النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة هي سياسية داخلية قبل أن تكون إستراتيجية. الرئيس الحالي بحاجة إلى كلّ صوت وكلّ دولار استعداداً لانتخابات تشرين الثاني 2024. بعض المتبرّعين أوضحوا له بصراحة، كحاييم صابان مثلاً، وغيره، أنه في حال عدم تقديمه دعماً كاملاً وغير مشروط لإسرائيل، فإننا سندعم دونالد ترامب. الموقف الحالي محكوم أساساً بالاعتبارات الانتخابية قبل الاعتبارات الإستراتيجية. طبعاً هناك إعادة نظر في تقييم الولايات المتحدة لقدرات إسرائيل العسكرية والاستخبارية في عدد من عواصم العالم كموسكو وبكين ونيودلهي، فضلاً عن واشنطن، وفي الدول التي اشترت التكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية التي فشلت فشلاً ذريعاً يوم السبت الماضي. عملية التقييم في بدايتها. لكن الفشل الاستخباري ليس محصوراً بالطرف الإسرائيلي، بل يشمل الطرف الأميركي أيضاً لأنه صدّق مزاعم الأول عن نفسه. الصحافة الإسرائيلية لا تتردّد في الحديث عن «نكبة» أو «كارثة» لوصف ما حدث، وعدّها هزيمة أسوأ من تلك التي حدثت سنة 1973. الأميركيون لم يتوصّلوا إلى التقييم نفسه حتى الآن، ولكنهم يوقنون بأن إسرائيل مُنيت بهزيمة مدوية.

■ الولايات المتحدة تخوض حرباً بالوكالة مع روسيا في أوكرانيا ومواجهة شاملة ومتصاعدة مع الصين. وكانت تعلن أنها ستعتمد سياسة «تخفيض توتر» في الإقليم للتفرغ لهاتين الأولويّتين. لكنها، وبفعل التطورات في فلسطين، تعود إلى التورط في نزاعات المنطقة، وصولاً ربما إلى الدخول في صدام مباشر مع قوى المقاومة فيها. ألا يتناقض هذا الأمر مع إستراتيجيتها المعلنة، وقد يفضي إلى الحؤول دون تحقيق غاياتها؟

هناك كثير من التناقضات في السياسة الأميركية. كان بايدن يعتقد أن في إمكان أوكرانيا أن تنتصر على روسيا. أثبت الهجوم المضاد الذي شنّه الجيش الأوكراني على عدوه الروسي أن هذا التقدير غير صحيح. هو لم يحرز أي تقدّم جدي، وهناك اعتراف بذلك في أوساط الخبراء العسكريين والإستراتيجيين الأميركيين. تصوّر بايدن نتيجة الواقع سياسة دعم أوكرانيا، والإبقاء على تواجد القوات الأميركية في أكثر من بقعة في العالم، وهذا سيكسبه أصواتاً إضافية في حال مشاركته في الانتخابات الرئاسية القادمة بكل تأكيد.

■ شهدنا في معركة «سيف القدس» في 2021 تحولاً إيجابياً كبيراً لمصلحة القضية الفلسطينية في أوساط الرأي العام الأميركي، وتأييداً للمقاومة بأشكالها جميعها، بما فيها تلك العسكرية. كيف تتفاعل اليوم قطاعات هذا الرأي العام المختلفة، وكذلك القوى السياسية، مع ما يحدث في فلسطين؟

التفاعل راهناً، على المستويات السياسية والشعبية والإعلامية، سلبي جداً. الوضع الراهن يتناقض مع المناخات التي سادت في السنوات العشر الأخيرة، والتي اتسمت باتساع رقعة التأييد لحقوق الشعب الفلسطيني السياسية ومعارضة حاسمة لسياسات إسرائيل. لا نتحدّث طبعاً عن الأميركيين جميعهم، ولكن عن جزء معتبر منهم. نتعرض اليوم لحملة خبيثة وشرسة من الإعلام الصهيوني، ومن منظمات اللوبي الإسرائيلي المختلفة، التي تضغط على المؤسسات السياسية والإعلامية والتعليمية، وتحديداً الجامعات، لحملها على دعم إسرائيل، مستغلةً مقتل مدنيين إسرائيليين في عملية «طوفان الأقصى». لو اقتصرت خسائر الطرف الإسرائيلي على الـ234 جندياً وشرطياً فقط، ما كانت الحملة الراهنة ستلاقي أصداء في المجتمع الأميركي شبيهة بتلك التي تلاقيها الآن. أنا قضيت أكثر من نصف حياتي في الولايات المتحدة، وفي نيويورك تحديداً، ولم أرَ طوفاناً من الكذب والدعاية البدائية كما يحدث حالياً، كان له تأثيرٌ فعلي. علينا أن ندرك بوصفنا حركة تحرّر أن ساحة المعركة ليست بلادنا الخاضعة للاستعمار فقط، حيث نصمد ونقاتل، ولكنها أيضاً تمتدّ لتشمل المركز الاستعماري، المتروبول. القادة الأميركيون لم يهزموا في حرب فيتنام عسكرياً على الأرض فقط، بل خسروا المعركة السياسية في داخل بلادهم، وكان لذلك تأثيرٌ حاسمٌ على مآلات هذه الحرب. لم تلحق جبهة التحرير الجزائرية هزيمة عسكرية ساحقة بالفرنسيين في الجزائر، ولكنها نجحت في تحقيق انتصارات سياسية مهمة في داخل فرنسا، أي في المركز الاستعماري. الأمر نفسه ينطبق على بقية حركات التحرر في إيرلندا وجنوب أفريقيا وبقاع أخرى. المعركة في المتروبول لا تقلّ خطورة عن تلك التي تُخاض في الميدان. إسرائيل بوصفها كياناً استيطانياً استعمارياً يرتبط عضوياً بالمتروبول الأميركي، ويجب أخذ مقتضيات المعركة في قلبه في الحسبان.

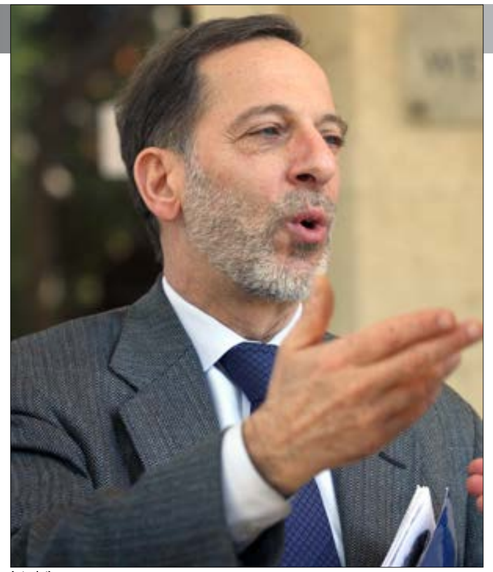
(أرشيف)

■ أيّ مستقبل لمشروع التطبيع السعودي - الإسرائيلي المرعيّ أميركياً بعد المعركة الدائرة حالياً؟

المعركة الحالية عرقلت التطبيع السعودي - الإسرائيلي وأجّلته، وربّما دفنته. أظن بالإضافة إلى ذلك أن هناك مراجعة دقيقة لمشروع التطبيع ليس في الرياض فقط، ولكن في أبو ظبي والرباط والمنامة أيضاً. لقد اتّضح للجميع أن إسرائيل ليست العملاق الجبار الذي لا يُهزم كما اعتقدوا. الرأي العام العربي، وهذا عامل مهم، ما زال متمسكاً بقوة بالقضية الفلسطينية في معظم بلدان المنطقة. هناك أسباب كثيرة دفعت بعض الأنظمة إلى التطبيع، أو للسعي إلى التطبيع، مع إسرائيل، أولها الرغبة في كسب رضا الولايات المتحدة. هم ما زالوا مقتنعين أن الشمس تشرق وتغيب في واشنطن. لكننا نلحظ في المدة الأخيرة بعض التردّد حيال صوابية هذا الخيار عند الذين أخذوا به، وتجميداً له على الأقلّ عند الذين لم يأخذوا به رسمياً بعد.

غزة المقاتلة و... أبعد!

نجيب نصر الله

في مشهد نادر، و«هوليوودي» الطابع، اجتمع «العالم» كما لم يحدث أن اجتمع من قبل. طبعاً، العالم بمعناه الحقيقي أوسع وأكبر من أن يُختزل بهذه الحفنة التافهة من ضواري الغرب وكواسره. والهدف المُعلن من هذا الاجتماع النادر وغير المسبوق، لا بدّ له، أقلّه علناً، إلا بند الانتقام من غزة. فتأثير غزة ومقاومة أهلها على ما يُعدّ للمنطقة من مشاريع تصفية ومخطّطات تهجير، بات فوق الاحتمال الإسرائيلي، فضلاً عن أن ذلك الهدف بات أكثر من ملحّ ويقضي بـ«تحطيم» مقاومة حركة «حماس» كجائزة ترضية بعد تعذّر النيل من مقاومة «حزب الله» والخشية من مواجهته. وإذا كان صحيحاً أن غزة هي المحور الذي لمّ شمل الضواري العلني ووحّد صفوفهم، فإنّ الهدف الفعلي ربما كان يتجاوز غزة وإن كان يبني عليها. وهذا الهدف يشمل إلى غزة، بما تمثله من ضمانات من الحقوق الفلسطينية، لملمة الخسائر الغربية المتفاقمة في غير ساحة وغير منطقة والحدّ منها. وهي الخسائر التي باتت تفوق القدرة على الهضم. فالعالم الهيمن لا يطيق ما يعيشه من فقدان متدرّج ومتسارع لأسباب السيطرة على المقدّرات والإمساك بالثروات. ففي جبهة أوكرانيا، حيث الإخفاقات الغربية تتراكم، على رغم كل ما يُبذل من موارد، ترتسم معالم العالم الجديد الذي يتعارض مع ثقافة الغرب وممارساته الإمبريالية. ولأن القاعدة المسماة إسرائيل دورها في هذه الحرب الشاملة، وجبهة من جبهاته المتقدمة، فإن ما أصابها جرّاء الهجوم الفلسطيني المباغت مثّل صدمة إضافية ومباغتة تردّدت أصداؤها في «المركز» الأميركي، ومن خلاله في باقي العواصم الأوروبية التابعة. فالهجوم الفلسطيني الذي أصاب الثكنة الغربية المتقدّمة ونال من هيبتها، من شأنه أن يفتح الآفاق العربية بغير ما يشتهي الغرب الذي يحاصر سوريا ويخنق مصر... كما أن من شأنه أن يقوّض الجبهة ويؤثر على خطط المعركة المركزية في أوكرانيا.

من هنا، وأمام فشل القاعدة الإسرائيلية المتقدّمة وانكسار هيبة جيشها، وبدء تصدّع نسيجها، كانت الخشية الغربية كبيرة، وكان الهلع الذي عمّ العواصم، ودفع بجو بايدن إلى التفاعل السريع، وإصدار الأوامر لأوروبا بالانتظام الحديدي في طابور الحرب على المنطقة، والمسارعة عبر سفنه الحربية وحاملات طائراته إلى الحضور المباشر على المسرح.

ما كان أنطوني بلينكن ليجرؤ على الحضور ولا على قول ما قاله في حضرة أرضنا العربية المحتلة، لو لم يكن الموقف العربي الرسمي شريكاً، ولو ثانوياً، في بعض تفاصيل الخطة، وخصوصاً في جانبها الفلسطيني. أو حتى لو كان الموقف الرسمي العربي المذعور غير هذا الموقف. بل إن بلينكن هذا، ما كان ليسمح لنفسه بتوجيه التهديدات وتوزيع الاتهامات ورسم الخطوط الحمر لو لم يكن مطمئناً إلى حقيقة الموقف العربي، وخصوصاً بنكبته السعودية المزززة. فالتقديرات المبنية على المعلومات، تقول إن لابن سلمان دوره في الحرب المفتوحة على غزة، كما كان له دوره في الحصار المفروض عليها. حديث نائب رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، صالح العاروري، يقول الكثير في هذا الشأن وخصوصاً حين يشير إلى السياقات التي أوجبت الهجوم الفلسطيني الإبداعي خطة وتنفيذاً، والتي جاءت في سياق استباقي فحسب. وتالياً التمكّن من ضرب البرنامج السعودي. الإسرائيلي في مهده، عبر استباق ما كان يُعدّ لغزة. وما كان يُعدّ لغزة كان كبيراً وإن لم تتوضّح كامل خيوطه بعد. فحسب البرنامج المُجهض، فإن ابن سلمان كان قد ربط بين تمكنه من الشروع العلني في التطبيع، وبين ضرورة تحطيم عقبة غزة، وهو ما يعجز عنه ويخشى منه. وهنا، كان توزيع الأدوار المتقن، والذي قضى بأن تتولّى إسرائيل بتغطية سعودية. إماراتية توجيه الضربة الكبيرة، بما يسمح لاحقاً بفتح الطريق وربما تعبيده أمام ما هو أخطر، وبما يمكّن السعودية وإسرائيل من السير في مشروع التطبيع الجاري والذي كان قد قطع شوطاً كبيراً، ولم يعد ينقصه سوى شكليات الإعلان والتوقيع الرسمي. لكن الاستباق الغرّاوي جعله في مهب الريح، ولن يلبث أن يشطبه شطباً كاملاً. وهو ما استدعى ويستدعي كل هذا الاحتشاد الذي يراهن على استعادة المبادرة وتنفيذ ما كان بصدده قبل المفاجأة الغزاوية المدوّية. وهي المفاجأة التي خلطت الأوراق، وتُنذر بأن تفتح الطريق الواسع أمام أفق آخر، وخصوصاً إذا ما اتسعت دائرة النار وشملت باقي الساحات المتأهبة.

شبه الصمت السعودي الراهن هو في الحقيقة انتظار لما ستؤول إليه المجريات. فإن تحقّق لإسرائيل ورعاتها التمكّن من غزة ومن أهلها، وهذا ما لن تسمح به قوى المقاومة العربية في لبنان وسوريا والعراق واليمن... سيكون الموقف السعودي جاهزاً لتلقّف النتائج التي يطمح إليها. وإن فشلت إسرائيل يمكن عندها لابن سلمان التملّص من التعهّدات المقطوعة، وإبقاء التطبيع في دوائر الصمت التي يقبع فيها بانتظار فرصة أخرى.

نجاح غزة في ضرب المشروع في مهده، والعبقرية العسكرية التي رافقت هذا النجاح التاريخي، أفقد أصحاب المشروع وصبيانه العرب صوابهم. ودفعهم إلى هذا القدر غير المقيّد من الجنون ومن الوحشية، وإلى بذل كل ما يبذلونه من جهود التعبئة وأشكال التحريض ونزع الإنسانية لتجاوز النكسة الكبيرة التي أصابته. وذلك في محاولة شبه أخيرة لتجنّب ما أصاب مشروع «الشرق الأوسط الكبير» الذي سبق له أن سقط تحت أقدام رجال المقاومة اللبنانية وبناتها.

الإعداد الجاري اليوم لمسرح القتل المفتوح يستوجب غربياً وإسرائيلياً كل هذا التضليل المدروس والممنهج الذي يحيط بنا. وإن التشويه والتضليل يبلغان مداهما الأقصى مع إصرار الخارج «الدولي»، كل الخارج الدولي، بساسته وعسكره وإعلامه ونُخبه ومثقفيه ورأيه العام... على تجاهل ما تتعرّض له غزة وباقي فلسطين من تدمير وقتل وحرق. وسابق المصلحة والقرار الغربيين ولواحقهما بالترويج لفبركات لا أساس لها من الصحة، والتباكي الكاذب على بضعة جنود أُسروا، يترافق مع تجاهل تام ومفضوح لواقع أن هناك شعباً بكامله يذبح، وجرائم لا سابق لها ترتكب.

فبموازاة القصف الإسرائيلي الإبادي، يسلّط الإعلام الغربي المتجنّد لخدمته حملة ضارية لا تعرف الضوابط، ويرمي بحممه الإعلامية الذكية والغبية على مسرح غزة. فحقيقة هذا الإعلام أنه يمثل، في جوهره، جيشاً لا يقل فتكاً وشراسة. وهو في قصفه للعقول من التلفزيون والإذاعة والصحف... إنما يتمّم مهمّات القتل وتقطيع الأجساد وتسوية المنازل على ساكنيها بالأرض. بل إنه لا يتحرّج من نزع الإنسانية عن كل من لا يتفقون مع مصالحه. ففي عرف هذا الإعلام المجرم والمنحطّ، ليس لحقوق الفلسطيني أو حريته أي قيمة. وقيمته في حال الاعتراف به، مرتبطة حصراً بإبادته وتجريده من كل جوهر إنساني.

هذه هي الخلفية التي لا خلفية لها لكل ما يجري في غزة اليوم، وهي الخلفية التي تفضحها المقارنات المسمومة عبر إعادة استحضار الهول النازي وجرائم الهولوكوست و11 أيلول إلى... فبالنسبة إلى هذا الإعلام، والواقفين وراءه، فإن التجرؤ على إسرائيل وما تمثّله هو الفظاعة المطلقة التي تهون أمامها كل الفظاعات الأخرى.

الاستهانة بالعرب وبالحد الأدنى من مصالحهم، لا حدود لها. فالصلف الأميركي وتطاوله المترجَم بمنح إسرائيل صك البراءة المسبقة من الجريمة الكبرى الجاري الإعداد لها، ما كان ليكون على هذه الشاكلة ولا بهذا المستوى، لو كان الموقف العربي العام غير هذا الموقف، ولو كان الحكام المحكومون، غيرهم.

ما أشبه اليوم بالبارحة. ففي عام 2006، احتشد العالم أيضاً كما لم يحتشد من قبل، وعمل على محاولة مطابقة للمحاولة التي يسعى إليها اليوم، إلا أنه صُدم بأن إرادة أهل الأرض أقوى من أن تُكسر وأصلب من أن تلين.

يبقى أن ما يمكن التأكّد منه، والرهان عليه، أن المقاومة اللبنانية (وحلفاءها) مدركة لمسؤولياتها تمام الإدراك، وهي لن تتخلى عن واجبها تجاه فلسطين، كل فلسطين، كما تدرك أن الدفاع عن الأرض وناسها أمر حتمي، وأنها لن تتوانى عن هذه المهمة المقدّسة مهما كانت الأكلاف باهظة، وهو ما يجدر بالجميع معرفته والحذر منه.

شبه الصمت السعودي الراهن هو في الحقيقة انتظار لما ستؤول إليه المجريات

الأميركيون يزيدون من تواجدهم العسكري في سوريا والعراق وأماكن أخرى بدلاً من تخفيضها

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزَقون»

إثر العدوان الصهيوني قبيل غروب شمس الجمعة (13 تشرين الأول 2023)، ارتقى إلى مرتبة الشهادة المرحوم الصحافي

عصام بسام حسن محمد
الحاج خليل عبد الله

والدته: فاطمة سعيد قانصوه (أم عصام)
شقيقاه: الصحافي علي عبدالله ووسام سرور
شقيقته: الدكتورة عبير
أعمامه: ابراهيم (71481136)، المرحوم الحاج خليل، المرحوم الحاج عصام
عماته: هادية (زوجة الأستاذ هاني عبدالله)، ليلى (03925905)
سعاد زوجة الدكتور محمد حسيب فياض (03299883)
أمال زوجة المهندس زهير عبد المنعم طرابلسي (03208993)
سيتم تشييع الجثمان الطاهر الساعة الواحدة بعد صلاة ظهر اليوم السبت من أمام منزل أهل الفقيد في الخيام / الحي الغربي / محلة المعصرة، إلى جبانة البلدة / محلة الميدان / البوابة الفوقا، حيث يوارى في الثرى
تقبل التعازي بالشهيد في بيروت، يومَي الأحد والإثنين في 15 و16 تشرين الأول 2023، من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى الساعة السادسة مساءً، وذلك في قاعة شهاب - غاردن، الحمراء- ساحة الوردية للرجال والنساء الراضون بقضائه تعالى:
آل عبد الله، قانصو، سرور، فياض، وطرابلسي، وعموم أهالي الخيام

طوفان الأقصى

منذ الساعات الأولى للعدوان الإسرائيلي على غزة، حاول الإعلام الغربي إقحام روسيا في المشهد الميداني (أ ف ب)

أميركا في «بيتنا» مجدّداً: الكلّ يشحذون سكاكينهم

خضر خروبي

في وقت تضيق فيه خيارات إسرائيل للتعامل مع تبعات معادلة «وحدة الساحات» التي فرضها «محور المقاومة» في المنطقة، تقع الولايات المتحدة تحت وطأة واقع مشابه مُتخم بالتحدّيات الدولية التي تواجهها على أكثر من «جبهة»، والتي لا تزال تعقّد مساعيها لتكريس «إستراتيجية التوجّه نحو منطقة آسيا-الباسيفيك»، ومجابهة «التهديد الصيني». وبقدْر ما شكّلت حرب أوكرانيا عاملاً رئيسياً في خلخلة تلك الإستراتيجية، لناحية إربال حسابات واشنطن على المسرح الأوروبي، بصورة اضطرّتها لتوجيه موارد مالية وعسكرية إضافية إلى ذلك المسرح لمواجهة روسيا، جاءت المفاعيل الإستراتيجية لعملية «طوفان الأقصى» لتُجرّ الأرجل الأميركية مجدّداً في اتّجاه إقليم دابت الدوائر السياسية والأكاديمية الأميركية على وصفه بـ«هلال الأزمات»، بعدما انشغلت الولايات المتحدة، طوال العقدَين الماضيَين، في البحث عن سبل تخفّف من حدّة حضورها في حروبه المتناسلة.

«طوفان الأقصى»: المقاومة ترسم «بدايات ونهايات»

تُعدّ مديرة برنامج السياسة الخارجية في «معهد بروكينغز» للدراسات، سوزان مالوني، أن عملية «طوفان الأقصى» عجّلت في «إنهاء الوهم الأميركي بأن الولايات المتحدة قادرة على الانعتاق من التزاماتها حيال المنطقة التي هيمنت على أجندة الأمن القومي الخاصّة بها لقرابة نصف قرن»، مشيرةً إلى أن الرئيس الأميركي، جو بايدن، وحتى الأمس القريب، كان يدفع في اتّجاه اعتماد «إستراتيجية خروج من المنطقة، انطلاقاً من قناعة مفادها بأن التعقيدات التي تواجهها الولايات المتحدة هناك، تصرف الانتباه عن التحدّيات الأكثر إلحاحاً التي باتت تفرضها الصين، بوصفها قوّة عظمى صاعدة، فضلاً عن قوّة روسيا الثائرة والمنبعثة من رقادها». ومن هنا، انصبّت مساعي الولايات المتحدة، في سياق سعيها إلى مكافحة النفوذ الصيني داخل عدد من البلدان الحليفة لها أيضاً، على إيجاد ميزان جديد للقوى في الشرق الأوسط، جوهره السعي إلى إبرام «اتفاقات دفاعية» ثنائية مع الرياض وتل أبيب، مقابل الاكتفاء باحتواء التوتّرات مع إيران، وتقديم مغريات اقتصادية محدودة للأخيرة عبر تفاهمات غير رسمية. وتلفت مالوني إلى أن رؤية إدارة بايدن، أهملت تقدير مدى جدّية التوجّه الاقتصادي والدبلوماسي للحكومة الإيرانية نحو تعميق التحالف مع ما يسمّى «محور الشرق»، ذلك أن «هذه الروابط الوثيقة بين الصين وإيران وروسيا لعبت دورها في إنتاج موقف إيراني أكثر عدوانية (تجاه المشروع الأميركي)، بالنظر إلى أن الأزمة في الشرق الأوسط، والتي تشتّت انتباه واشنطن والعواصم الأوروبية، ستنجم عنها بعض الفوائد الإستراتيجية والاقتصادية لكلّ من موسكو وبكين». وفي المحصّلة، فإن غالبية الظنّ، في أوساط المحلّلين الغربيين، أن طهران قد ضربت النظر عن تقديم أيّ تنازلات لواشنطن، وأن المحور الإقليمي الذي تتزعّمه قد عقد العزم على تغيير أسس النظام الإقليمي برمّته بشتى الوسائل المتاحة لديه، للردّ على المشروع المعادي له.

ومن رحم الخلاصة المشار إليها، فقد بات «استنفار» القوى الكبرى الممتدّ من حدود أوكرانيا إلى تايوان، يظلّل الأزمات الإقليمية، ومنها القضية الفلسطينية، ربطاً بـ«صعود محور المقاومة»، وذلك بصورة مغايرة يطغى عليها طابع «الانعزالية» و«الترقّب»، من جانب تلك القوى. ويبني عدد من الدارسين للعلاقات الدولية، تصوّراتهم في شأن النظام العالمي الراهن، بالاستناد إلى ما أفرزته حرب أوكرانيا، إذ يتشابه هذا الأخير مع الواقع الذي كان سائداً إبّان حقبة الحرب الباردة لناحية انتعاش ظاهرة الحروب بالوكالة، مع فارق جوهري وحيد، وهو أن تورّط معظم الدول الكبرى في المواجهة الأوكرانية، بخاصة الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي، كبّل أيديها في التحرّك أو التأثير المباشر الفاعل في مسار نزاعات أخرى حول العالم، سواءً لغياب عنصر القدرة أو عنصر الرغبة، في مقابل بزوغ قوى إقليمية، من ضمنها إيران وإسرائيل وتركيا، أو تنظيمات مسلّحة، كالفصائل الفلسطينية، تمارس قدراً من التأثير ضمن نطاق جغرافي محدّد، وبصورة يصعب ردعها. ويحلو لهؤلاء إطلاق توصيف «عصر انشغال القوى الكبرى» على المشهد الحالي على الساحة الدولية، عبر تقديم حالتي الحرب الأخيرة في ناغورنو قره باغ، والمواجهات الدائرة في غزة، بوصفهما مثالَين حيَّين عن مدى صعوبة انزلاق موسكو وواشنطن، على التوالي، لنصرة حلفائهما على الساحة الدولية، أقلّه حالياً، على هيئة تتخطّى الدعم غير المباشر.

وفي هذا السياق، تُطرح مجلّة «فورين أفيرز» تساؤلاً مفاده: «كيف أثّرت الأزمات في الشرق الأوسط ومناطق أخرى في النظام الدولي؟» قبل أن تعرض إجابة ترصد فيها انصراف القوى الدولية الكبرى عموماً بسبب الحرب في أوكرانيا، عن الخوض في صراعات أخرى، توازياً مع اندفاع فاعلين محلّيين لتغيير «الستاتيكو» بالقوّة. وتنبّه المجلّة الأميركية إلى أن هذا العامل بالتحديد، يدخل ضمن العناصر التي حفّزت حركة «حماس» على مهاجمة إسرائيل، مستهدفة في عرض حالة الانقسام الداخلي الأميركي، على وقْع انخراط واشنطن في دعم كييف مالياً وتسليحياً، ملمّحة إلى أن الحرب الدائرة بين «الناتو» وروسيا «نالت بوصفها مثالَين حيَّين عن مدى صعوبة انزلاق موسكو وواشنطن، على التوالي، لنصرة حلفائهما على الساحة الدولية، أقلّه حالياً، على هيئة تتخطّى الدعم غير المباشر.

وفي ضوء التأكيد أن حرب غزة ستمثّل اختباراً لمتانة العلاقات الروسية - الإيرانية، يعرب مسؤولون أوروبيون عن خشيتهم من أن تُعمد روسيا إلى استغلال الفوضى الإقليمية الناجمة عن الحرب، للتقرّب أكثر من إيران وفصائل المقاومة الفلسطينية، حتى أن بعضهم هلّل لـ«التحالف» بين روسيا والمحور الذي تقوده إيران في الشرق الأوسط. كما بدا لافتاً، في زيارة وفد رفيع المستوى من حركة «حماس» إلى موسكو، في آذار الفائت، ما جاء على لسان نائب رئيس المكتب السياسي للحركة، من تحذير من أن «صبرها إزاء الاعتداءات الإسرائيلية بدأ ينفد».

أمّا الصين، رائدة «دبلوماسية جمع الأضداد» في المنطقة بعد «اتفاق بكين»، فإن رهاناتها الفلسطينية، السياسية للصراع، وإنْ كانت تترك الباب مفتوحاً أمام توافقات محدّدة مع أطراف «محور المقاومة» في ساحات معيّنة كسوريا، يعتقد مدير برنامج أمن الشرق الأوسط في «مركز الأمن الأميركي الجديد»، جوناثان لورد، أن هذا الأمر جائز بالنسبة إلى الروس طالما بقيت إسرائيل بعيدة من التورّط في حرب أوكرانيا، ملمّحاً إلى أن «ذلك النهج قد يتّخذ منحى تصعيدياً أوسع نطاقاً إذا ما خُشرت روسيا في الزاوية في تلك الحرب». ويشير إلى أنه، في هذه الحالة، «سوف تتّجه موسكو نحو تعزيز التقارب مع طهران، ما قد يجعل الإيرانيين في وضع يسمح لهم في مطالبة الكرملين بالمزيد، كالحصول على أنظمة دفاع جوي، وطائرات مقاتلة متطوّرة، أو حتى دعم تقني في برنامجهم النووي». ويتابع لورد محذّراً من أن السيناريو المشار إليه «ستكون له تداعيات مباشرة على الأمن الإسرائيلي، وأمن المنطقة ككلّ». وتجدر الإشارة إلى أنه، منذ الساعات الأولى للعدوان الإسرائيلي على غزة، حاول الإعلام الغربي إقحام روسيا في المشهد الميداني، تارةً عبر الترويج لمعلومات مغلوطة حول تقديم موسكو دعماً تقنياً لـ«حماس» في مجال المسيّرات، وتارةً أخرى عبر الزعم أن عناصر من الحركة تلقّوا تدريبات على أيدي شركة «فاغنر». وعلى وقع هذه الأنباء، التي تجد من يؤيّدها في صفوف جنرالات الجيش الأميركي، عجّت حسابات الناشطين الروس على مواقع التواصل الاجتماعي، بخاصة أولئك الذين يؤيّدون سياسة الرئيس فلاديمير بوتين، بعبارات الثناء على أداء المقاومة الفلسطينية، حتى أن بعضهم هلّل لـ«التحالف» بين روسيا والمحور الذي تقوده إيران في الشرق الأوسط. وخلافاً لموسكو، تكيل موقفاً «أكثر حرارة» حيال الإسرائيليين، وتكاد تكون محصورة ضمن الأطر السياسية وليس العسكرية، لكونها أقرب إلى الرهان على «طوفان الأقصى» لإقناع حكومة بنيامين نتنياهو بأن سياسة الهروب من استحقاق «حلّ الدولتين» لم تَعُد ممكنة.

واشنطن وتل ابيب: «وحدة المصير»

إذا كانت إسرائيل، في معرض استنكارها «إستراتيجية التوجّه شرقاً» وفقاً للمفهوم الأميركي، قد تقصّدت لأعوام خلت، الإيحاء

> **باتت «استنفار» القوى الكبرى الممتدّ من حدود أوكرانيا إلى تايوان، يظلّل الأزمات الإقليمية**

بقدرتها على «التكيّف» مع بيئة أمنية إقليمية جديدة، بصورة مستقلّة عن «حليفها التاريخي»، وفقاً لما جاء مثلاً تباين التصوّرات بينها وبين الولايات المتحدة حيال الملفّ النووي الإيراني، وإصرارها في هذا الإطار على التلويح بخيار عسكري منفرد ضدّ «الجمهورية الإسلامية» (من قبيل كشفها قبل أشهر عن تطوير مديات تحليق طائرات «F-35» من دون الاستعانة بطائرات «135-KC» التي تردّدت واشنطن في تزويدها بها سنوات)، وذلك بالتزامن مع تزايد النفوذ الإقليمي لطهران وحلفائها، فإن ما أنجزته المقاومة الفلسطينية أخيراً، كشف عن هشاشة هذا الاستقلال الإستراتيجي المزعوم لكيان الاحتلال، وأعاد الأخير إلى حقيقة ارتباطه الجوهري والوجودي بالدعم الأميركي. ومن هنا، ينظر البعض إلى ما جرى في الأراضي المحتلّة بوصفه «نبوءة إسرائيلية» تمّ تجاهلها أميركياً، مستذكرين ما توارد على ألسنة قادة ومحلّلين إسرائيليين، دأبوا على الإعراب عن خشيتهم ممّا عدّوه «إشارات خطأ» يبعث بها مشهد تقليص الانخراط الأميركي في الشرق الأوسط.

وتشير تقديرات بعض مراكز الدراسات الغربية إلى أن أحداث غزة الأخيرة جاءت بوصفها نتاجاً لعاملَين متعاكسَين، هما: القوة المتعاظمة لطهران، والمرفّقة باتّساع هوامش تحرّك حلفائها في المنطقة، من جهة، وتزايد المؤشّرات في الأسابيع القليلة الماضية إلى اقتراب التطبيع بين الرياض وتل أبيب، من جهة أخرى، وما كان ليعنيه هذا من اكتمال «الهندسة الأمنية لشرق أوسط ما بعد أميركا»، والتي تقوم على نشوء محور إقليمي معادٍ لطهران، وتخفيض الوجود الأميركي في المنطقة، ضمن ترتيبات تضمن مصالح واشنطن «بالواسطة»، وذلك توازياً مع جهود مشابهة تعدّ لها الولايات المتحدة في أوروبا وآسيا بهدف «تشارك الأعباء الأمنية» مع الحلفاء. أمّا على نتائج الحملة التي أعقبت «طوفان الأقصى»، والتي يُحكى عن احتمال تطوّرها إلى اجتياح برّي للقطاع، فيميل معلّقون غربيون، وبنفَس تحذيري، إلى إسقاط واقع حال الولايات المتحدة بعد «11 أيلول» على الواقع الراهن لإسرائيل. آنذاك، انساق الأميركيون خلف نهج انفعالي عنيف في السياسة الخارجية، وأطلقوا شرارة حروب متعدّدة امتدّت على مدى عقدَين من أفغانستان إلى العراق، وقد حملت بعض معالم «الإنجاز الدموي» في بادئ الأمر، قبل أن تنتهي بحصيلة ثقيلة الوطأة على الصعد السياسية والإستراتيجية والاقتصادية كافة، ناهيك عن العسكرية، عنوانها ضياع المشروع الإمبراطوري الأميركي للقرن الحادي والعشرين. إذ استغلّ خصوم الولايات المتحدة الإستراتيجيون، وفي طليعتهم روسيا والصين، انشغال أميركا وقتذاك بحروبها لـ«ملء الفراغات» الناجمة عن التمدّد المفرط في نشاط القوة العسكرية. أمّا اليوم،

«الطوفان» يربك حسابات تركيا: تحوّل في غير «زمانه»

محمد نور الدين

ارتفع صوت الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، ردّاً على إرسال الولايات المتحدة حاملة طائراتها، «جيرالد فورد»، إلى المنطقة. وتُعيد عبارته المنتقدة لِما تفعله الحاملة في شرق المتوسط، فيما أميركا بعيدة آلاف الكيلومترات عن إسرائيل، إلى الذاكرة موقفه من التدخّل الأطلسي في ليبيا، في عام 2011، وسؤاله، آنذاك، عمّا يَفعله الحلف هناك. في حينه، لم يمضِ وقت طويل حتى كانت تركيا، ومن دون وجود أيّ قرار دولي، تنخرط مع «الناتو» في غزو ليبيا، ومهاجمة معاقل معمر القذافي بالطائرات. لم يُرد إردوغان أن يكون خارج الكعكة الليبية، وخصوصاً أنه كان في تنافس محموم مع فرنسا وبريطانيا على كسب النفوذ في هذا البلد. اتّسمت علاقات تركيا بـ«حلف شمال الأطلسي»، على امتداد فترة عضوية الأولى في الحلف، منذ عام 1952، بطلعات ونزلات. ومع ذلك، كانت أنقرة تعود في كلّ مرّة إلى الانتظام في صفوفه، ولتكون شريكته في كلّ عمليّاته، لأنها تدرك أن عضويتها في «الناتو» شكّلت «الضمانة» في مواجهة المعسكر الشيوعي، ومن ثمّ «الأخطار» المشرقية الكامنة.

وبالعودة إلى البيان الصادر عن البرلمان التركي، الذي انعقد في جلسة خاصّة بغزة، أول من أمس، يتّضح أن الهدف الذي رسمه إردوغان انعكس في جوهر البيان، الذي دعا إلى المفاوضات بين الجانبَين الفلسطيني والإسرائيلي، وحلّ الدولتَين، وأبدى استعداد تركيا لتكون وسيطاً. أمّا انتقاد إردوغان لقدوم حاملة الطائرات الأميركية، فيمكن إدراجه في سياقات داخلية أكثر منها خارجية؛ فالمناخ المعادي للقضيّة الفلسطينية، الذي استند إردوغان في اعتماد «الحياد» إليه، بات يشكّل خطراً على ماهية عقيدة «حزب العدالة والتنمية» الإسلامية. وحين صار على الرئيس التركي، الذي ساوى بين القاتل والضحية، في الأيام الأولى لعمليّة «طوفان الأقصى»، أن يعتدل بعض الشيء تجاه غزة، فما كان منه إلّا أن هدّد بمعاملة إسرائيل كمنظّمة لا كدولة. ومع ذلك، لا يمكن توقّع أن ينتصر إردوغان لغزة، على حساب العلاقة مع تل أبيب، ومع واشنطن. فالمواقف التي اتّخذها، ومعه كل الآلة الحزبية والإعلامية لـ«العدالة والتنمية» وشريكه «الحركة القومية»، في الوقوف على الحياد، مستمرّة، ولم تتغيّر، في ما يمكن أن يشكّل لاحقاً مساراً أكثر إخلالاً بالتوازن لغير صالح القضيّة الفلسطينية. ومهما كانت الأسباب والذرائع، فإن الوقوف على الحياد بين قاتل وضحية في قضيّة العرب والمسلمين الأهمّ، يعني تلقائيّاً، ومن دون أيّ حاجة إلى الاجتهاد، الانحياز إلى جانب القاتل.

وفي مبرّرات وذرائع «الحياد» التركي، يمكن التوقّف عند الآتي:

1- فاجأت عمليّة «طوفان الأقصى» إردوغان الذي يعمل، منذ ثلاث سنوات، للتقرّب من إسرائيل، وتطبيع العلاقات معها، انطلاقاً من اعتقاده أن المال اليهودي سيتدفّق على تركيا، لتعزيز الوضع الاقتصادي، وهو ما كان الرئيس التركي في أمسّ الحاجة إليه عشية الانتخابات الرئاسية في ربيع 2023. وربّما رأى إردوغان أن أيّ موقف تضامني مع فلسطين في غزة وغيرها، سينسف كلّ ما بناه في السنوات القليلة الماضية.

2- التقى إردوغان للمرّة الأولى وجهاً لوجه مع رئيس وزراء العدو، بنيامين نتنياهو، في العشرين من الشهر الماضي، في نيويورك، ليعلن بعد عودته إلى بلاده، أن البلدَين سيعملان معاً للتنقيب عن الغاز في المناطق الاقتصادية الإسرائيلية والتركية، ولتصدير الغاز الإسرائيلي عبر أنبوب بحري من إسرائيل إلى تركيا فأوروبا. لهذا، ربّما يرى أن أيّ موقف تضامني مع فلسطين سيفجّر هذه الخطط على صعيد الطاقة، ويحرم تركيا من فرصة الاضطلاع بدور مهمّ في سياسات الطاقة العالمية، ولا سيما بعد استبعادها من خطّة «الممر الهندي».

3- ساهم التعاون، بل التحالف التركي - الإسرائيلي - الأذربيجاني، في تحقيق انتصار مُهمّ، في 19 من أيلول الماضي على حساب أرمينيا وإيران في القوقاز، بعد اقتلاع الأرمن من أراضيهم في قره باغ وتهجيرهم منها، فيما يبدو إردوغان في حاجة إلى مواصلة هذا التحالف المثلّث في أكثر من مكان. وتجدر الإشارة إلى أن الموقف الأذربيجاني الرسمي والإعلامي لا يصف حركة «حماس» إلا بكونها منظّمة إرهابية، منحازاً إلى جانب العدو.

4- إن الحفاظ على علاقات تركية مميّزة مع إسرائيل يُعدّ جزءاً من العودة التركية إلى الحضن الأطلسي بعد «قمّة فيلنيوس» في 12 تموز الماضي. ولعلّ موقف النأي بالنفس التركي عن عمليّة «طوفان الأقصى»، يريح واشنطن.

5- يطمح إردوغان، بموقفه الحيادي هذا، إلى أن يضطلع بدور الوسيط بين «حماس» وإسرائيل، ليجدّد التأثير التركي في المعادلات الإقليمية، وليكون ذلك استعاضة عن تراجع دور تركيا الوسيط بين أوكرانيا وروسيا.

6- يؤخذ على السلطة الرسمية، في الوقت نفسه، أنها لم تبادر، إلى الآن، إلى تنظيم حملات إعلامية وإعلانية متلفزة لجمع التبرعات، أو الدعوة إلى تقديم مساعدات إنسانية أو مولدات كهربائية أو أدوية أو مواد طبية، أو إبداء الاستعداد لاستقبال الجرحى في مستشفيات تركية.

7- كذلك، كان فاقعاً ألّا تدعو تركيا أيّاً من المنظّمات المعنية، من مثل «منظمة التعاون الإسلامي» أو مجلس الأمن أو غيرهما، إلى اجتماعات عاجلة لبحث الوضع في غزة، لتعمّم بذلك نأيها الكامل عن القضيّة الفلسطينية.

8- تبقى الخشية من مواقف إردوغان الحالية الداعمة ضمناً لإسرائيل، كامنةً في أن الحملة المعادية لـ«حماس» والمقاومة، والتي تروّج لها بقوّة وسائل إعلامه ومسؤوليه، قد تؤسّس - ولعلّها أسّست - لنزعة كراهية وعداء تجاه المقاومة وفلسطين لدى التيار الإسلامي في تركيا، الذي، وعلى الرغم من كل ذلك، لا تزال بعض الأقلام فيه تغرّد خارج سرب الماكينة الرسمية والإعلامية لإردوغان وسلطته.

> **فاجأت عملية «طوفان الأقصى» إردوغان الذي يعمل، منذ ثلاث سنوات، للتقرب من إسرائيل**

دعا البرلمان التركي إلى المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وحمل الدولتين (أ ف ب)

طوفان الأقصى

عندما أُصيبت إسرائيل بالبركان

أسعد أبو خليل *

العبارة عن أن الحياة بعد حدث ما لن تكون كما قبله باتت مكرّرة كثيراً ومجترّة. لكن عمليّة «طوفان الأقصى» ليست مثل غيرها. هي تغيير نوعي في سياق العمليّات الفلسطينيّة على مرّ تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي. العمليّة ليست واضحة بعد في أهدافها ونوعها، ولا نعلم إذا كان قصف إسرائيل لمواقع مقاتلي «حماس» خارج غزة هو الذي تسبّب في هذا العدد الكبير من القتلى في صفوفهم (هل يُعقل أن إسرائيل قتلت مئات المقاتلين، وفقاً لما تقوله، من دون أن تصيب مدنيّيها بينهم؟). إسرائيل عمدت منذ انطلاقتها إلى إحداث معادلة واضحة: يُقتل مئة عربيّ مقابل كلّ إسرائيليّ يُقتل (هذه النسبة حقيقيّة وهي محتسبة في دراسة قديمة لمركز الدراسات الفلسطينيّة في أوائل السبعينيّات). العمليّة هذه قلبت المعادلة، ما أشعر إسرائيل بأن عناصر عقيدتها العسكريّة والأمنيّة تتعرّض للفناء. حزب الله صدَّ اجتياحاً إسرائيليّاً كبيراً للبنان في عام 2006. هذا تغيير كبير في سياق الصراع، وخصوصاً أنّ أحداً لم يستطع أن يصدّ اجتياحاً إسرائيليّاً من 1948 حتى حرب تمّوز. أدركت إسرائيل أنها تتعامل مع نوعيّة جديدة من البشر: وهي كانت تعوِّل على نظرة استشراقيّة تحقِّر العنصر العربي وتستخفّ بقدراته (وساعدتها في ذلك الكتابات العربيّة الاستشراقيّة من نوع «النقد الذاتي بعد الهزيمة» لصادق جلال العظم). لا يمكن للعدوّ أن يسمح في هذا التدنّي في أدائه القتالي والإجرامي. في حرب تمّوز مثلاً، تدنّت نسبة إلحاق الأذى الإسرائيليّة بالعرب مقارنةً بالأذى الذي يلحقها هي. القدرات التي سخّرتها «حماس» في العمليّة لم تكن ماديّة فقط بل معنويّة. هي ترسيخ لسابقة حرب تمّوز (وقبلها في حرب أكتوبر): أن الجندي العربي لا يخاف من الجندي الإسرائيلي. في تمّوز ترسّخت سابقة: تخويف الجندي الإسرائيلي. هذا سُجِّل في عمليّة «حماس» وهذا الذي دفع العدوّ إلى الإصرار على تدمير عشوائي ممنهج لغزة كلها، بمن فيها.

الغرب فقد صوابه في هذه العمليّة. لم أرَه على هذه الصورة من التعصّب والكراهية والانحياز والعنصريّة والعداء الشديد لكل ما هو عربي وإسلامي، ولكن هذا ليس سيّئاً بالضرورة، على العكس، الغرب يُسفر عن وجهه القبيح، وجهه الحقيقي. يكفي أن تتابع الخطاب الإسلاموفوبي في فرنسا، وفيه يتشارك اليسار واليمين والوسط (وكالعادة، يحتاج العداء الغربي للعرب والمسلمين إلى مسلم مُطيع، ولهذا إنّ تاريخ الإسلاموفوبيا الفرنسيّة سيتذكّر الدور الشنيع الذي لعبه محمد أركون مع الدولة الفرنسيّة في صياغة قانون منع الرموز الدينيّة. ومنع العباءة لم يصاحبه كثير من الاحتجاج السياسي). لكن الغرب في الحرب الأوكرانيّة كشف أوراقه كلها. قدرة الغرب على خداعنا والتلاعب بعقولنا تقلّصت كثيراً عبر السنوات، وهذه الحقبة التي ولدت بعد عمليّة غزة ستزيد من وحشيّة الغرب وتعنّته وتزمّته، لم يعد يزعم حتى أنه يعتنق الليبراليّة التي كان يعلكها في حديثه مع دول العالم النامي.

الغرب اليوم يكرّس مبدأ صراع الحضارات. حرب أوكرانيا وضعت الغرب كله في بوتقة حضاريّة واحدة. عندما تنضم السويد وفنلندا إلى «الناتو»، تدرك أن قدرة الجمعيّات اللبنانيّة المُموَّلة من حكومات «الأطلسي» على سوق فكرة: ليس الغرب كله سواء، وأن هناك حكومات غربيّة لا تسير في المسار الأميركي، لن تنطلي. والحرب في غزة اليوم رصّت الصفوف أكثر، لا بل هي عمّمت سياسة حظر حريّة التعبير ومنع الموازاة بين الأفكار لأنها ليست كلها سواء. فكرة جون ستيورات ميل عن سوق الأفكار تبخّرت. سوق الأفكار، مثل دول العالم العربي، تضمّ الأفكار التي تفرضها الأحزاب الحاكمة (وهي حزب أو اثنيْن في غالب الأحوال). الأفكار الأخرى تكون إرهابيّة أو هي فاسدة تستحق الحظر أو التهميش (كما حلّ بالشيوعية والاشتراكيّة). الصراع بين الغرب والشرق في أوجه لكن الغرب لم يعد مهتماً بالمهادنة. هو يريد الحرب وفرض الهيمنة الغربيّة، وحاملات الطائرات هي وسيلة النقاش.

من الضروري عدم الانجرار في الانتصاريّة التي كان إقبال أحمد يحذّر أصدقاءه في منظمّة التحرير منها. صحيح، أظهرت «حماس» عجز العدوّ وضعفه، كما نجح الحزب في تظهير ذلك عبر سنوات مقاومته، ولكن إسرائيل ليست وحيدة، كما نرى. الغرب مستعد أن يتدخّل بأساطيله لإنقاذها من شرّ العرب. ليس بالأمر اليسير أن تحرّك أميركا حاملتيْ طائرات لمواجهة «حماس». من دون أن تدري، عظّمت أميركا من شأن «حماس» في أذهان الرأي العام العالمي، وجعلت من إسرائيل دولة ضعيفة خانعة تحتاج (للمرّة الأولى منذ إنشاء الكيان) إلى رعاية عسكريّة واستخباراتيّة مباشرة من الحكومة الأميركيّة. للمرّة الأولى، لا تثق أميركا بقدرة إسرائيل على حماية نفسها من أعدائها. وإعلان أرقام هائلة لعدد المجنّدين الإسرائيليّين محاولة لكسب هيبة عسكريّة باتت مفقودة. هذه سابقة في العلاقات الأميركيّة الإسرائيليّة. كانت أميركا تثق ليس بقدرة إسرائيل على هزيمة دولة عربيّة ما فقط، بل بقدرتها على هزيمة أي مجموعة من الدول العربيّة. اليوم لا تثق أميركا بقدرة إسرائيل على هزيمة منظمّة فلسطينيّة؟ هذا يعطي فكرة عن تدهور كبير في القدرة الردعية لإسرائيل. والتخبّط الذي وقعت فيه إسرائيل بعد العمليّة زاد من التشكيك بقدراتها. طبعاً، المسألة ليست أن إسرائيل تغيّرت فقط، بل أن قدرات حركات المقاومة ضد إسرائيل باتت على مستوى من القوة لا يمكن مقارنته باستعراض ياسر عرفات، القائد العام لقوى الثورة الفلسطينيّة الغابرة.

ماذا يمكن لأميركا أن تفعله؟ عقوبات ضد «حماس»؟ هناك كل أنواع العقوبات، أميركا جرّت الدول العربيّة (أو الدول العربيّة جرّت نفسها) للتعامل مع حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي بوصفها حركات إرهابيّة. ودول الجامعة العربيّة تحظّر، على طريقة دول الغرب، الإعلام التابع لأي حركة مقاومة. والتقارير عن أن أميركا ستدخل الحرب ضد حزب الله تعصى على التصديق. أميركا كانت في لبنان وبقيت فيه سنتين واستعملت مدفعيّة «نيو جرزي» ضد الضاحية والجبل، وكانت النتيجة أن رونالد ريغان، رافضاً الاعتراف بالهزيمة، أعلن أن قواته «ستعيد انتشارها إلى البحر». وروبرت غايتس (وزير الدفاع في آخر عهد بوش وفي عهد أوباما) كان قد حذّر في خطبة وداعيّة في الكليّة العسكريّة «وست بوينت» أن أي رئيس يفكر في شنّ حرب في الشرق الأوسط يحتاج إلى فحص في قواه العقليّة. والحزب كان في طور جنيني في 1982، فما بالك به بعد حرب تمّوز وقد أصبح قوة إقليميّة يُعتدّ بها؟

ليس واضحاً إذا كان لـ«حماس» خطّة في التعامل مع مضاعفات العمليّة. والعمليّة نفسها ليست واضحة ويشوبها الغموض الشديد، كما سلف. والعدو ينسج على عادته الأضاليل والأكاذيب كي يكسب الرأي العام الغربي. و«حماس» ليست الحزب: ليس لديها إعلام حربي ماهر. الكلام كله عن قطع رؤوس الأطفال لم يتلقَّ رداً من «حماس» أو توضيحاً. والحرب فرصة لمن يخوضها: للمساهمة في الحرب أو لمنح العدوّ فرصة للتضليل، وإسرائيل ماهرة في التضليل والخداع ولم ينجح في الحرب الإعلامية والنفسيّة معها إلا الذي هزمها في الجنوب اللبناني.

قدر العمليّة أنها أحدثت زلزالاً في السياسة العربيّة. هي عرقلت مسار التطبيع بين السعوديّة وإسرائيل إلى درجة أن دعاة محمد بن سلمان من اللبنانيّين جزموا أن العمليّة إيرانيّة لهذا السبب (إسرائيل وأميركا نفيتا ضلوع إيران، لكن «ثوار» لبنان أدرى بالسياسة العالميّة والمعلومات الاستخباريّة التي تردهم من تركي الشيخ). محمد بن سلمان اضطرّ إلى التحدّث نحو ساعة مع الرئيس الإيراني، وهذا دليل حرج سعودي، لأن المصالحة (بين السعوديّة وإيران) كانت هدفاً لإيران أكثر ما هي هدف للسعودية التي تصرّفت بصلف في المصالحة، والتي لم تغيّر مسار إعلامها نحو سوريا وإيران رغم تغيّر لهجة إعلام النظاميْن الأخيريْن. إنّ تغيّر لهجة بعض دعاة النظام السعودي نحو فلسطين (باتجاه متعاطف) دليل على قراءة للمزاج العام. ومجلة الـ«إيكونمست» قبل أسبوعين استشهدت باستطلاع رأي يظهر أن نسبة 2% فقط من شباب السعوديّة يحبّذون التطبيع مع إسرائيل (طبعاً، شذَّ عن اتجاه التعاطف مع فلسطين هؤلاء اللبنانيّون الذين يعملون في حاشية الحاكميْن الخليجيّيْن).

الحرب الكبيرة لم تأتِ بعد، وهي ستكون كبيرة إلى درجة أن أميركا تخشى منها. الحرب الكبيرة ستقضي على مصالح أميركيّة كبيرة في لبنان وخارجه وسيكون سياقها أقلّ ديموقراطيّة من حرب تمّوز، حين كان التآمر والتعاطف اللبناني مع العدوّ جهاراً وفي الإعلام المحلّي والعالمي. الصحف الأميركيّة لا تنفكّ تكرّر أن الحزب أقوى من حماس بكثير، ومن المستبعد أن يكون خبر تهديد أميركا بالدخول في حرب مع الحزب صحيحاً. هذا تهويل إسرائيلي المصدر، وأميركا تساند إسرائيل حتى في التضليل. الحزب حتى الساعة منضبط لأن حساباته في الحرب (خلافاً لمنظمة التحرير والأنظمة العربيّة بما فيها عبد الناصر في 1967) دقيقة وغير انفعاليّة. هو يتبع نهج الربح والخسارة، أي المدرسة العقلانيّة في صنع السياسات. والطريف أن هناك من دعاة الخليج على المواقع الذين يظنّون أنه يمكن لهم دفع الحزب نحو التورّط أو الارتجال كأن لديهم تأثير عليه.

الأنظمة العربيّة كلها ستعدّل في حساباتها بالنسبة إلى السلام مع إسرائيل، خصوصاً إذا تعرّضت غزة للتدمير الشامل. لكن ذلك سيستدعي على الأرجح تدخلاً من حزب الله، والحرب المفتوحة ستكون من أكبر الحروب العربيّة في تاريخها. الحزب الذي صدّ إسرائيل على مدى ثلاثة وثلاثين يوماً سيكون أقوى في الحرب المقبلة. ليس هناك في حوزة العدوّ ما لم يكن في حوزته من قبل، من ناحية أدوات التدمير. وإشعال المنطقة سيشمل العراق وسوريا معاً، وهذا سيناريو مخيف لأميركا لأنه سيورّطها ويخرجها من المشرق العربي. تجربة أميركا مع لبنان لم تكن مشجّعة، وأميركا تؤيّد إسرائيل لكن ليس على حساب مصالحها. تتمنّى إسرائيل لو أن أميركا تدخل الحرب معها ضد الحزب لكن ذلك سيدخل إيران في المعمعة. قدرة المقاومتيْن على إلحاق الضرر بإسرائيل أكبر من قدرة أي رئيس حكومة إسرائيلي على تحمّل الأضرار، خصوصاً إذا كان نتنياهو، وهو اليوم رئيس ضعيف. سلطة رام الله العميلة ستدفع الثمن، عاجلاً أم آجلاً. وهذه أوّل مرة يكون فيها صراع فلسطيني إسرائيلي ولا تشارك فيه حركة «فتح» الاستعراضيّة بالخطابة والتبجّح والرقص الشرقي. هي حركة منقرضة في نظر الرأي العام الفلسطيني، وليس من مال خليجي أو غربي يستطيع أن ينقذها، مع أن محمد بن سلمان كان يفاوض عائلة محمود عبّاس على شروط الرضوخ الفلسطيني لتطبيعه. ياسر محمود عبّاس يستطيع أن يضمن الرأي العام الفلسطيني لمحمد بن سلمان مقابل تحويلات مصرفية سخيّة. الذي عوّل على دفن قضيّة فلسطين، أُصيب هو الآخر بالبركان.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

(أ ف ب)

> الغرب فقد صوابه في هذه العمليّة. لم أرَه على هذه الصورة من التعصّب والكراهية والانحياز والعنصريّة والعداء الشديد لكل ما هو عربي وإسلامي، ولكن هذا ليس سيّئاً بالضرورة

عود على بدء

سعد الله مزرعاني *

على امتداد تاريخ فلسطيني متواصل لأكثر من قرن، مُثقل بالتضحيات والمعاناة والكفاح، ثمة محطات انعطافية مهمة. واحدة منها ما حصل صباح 7 أكتوبر الحالي في قطاع غزة. بين تلك المحطات ما كان ذا طابع هجومي (نسبياً) كتأسيس حركة «فتح» أوّل عام 1965، التي تبنّت الكفاح المسلح أداة لتعبئة الشعب الفلسطيني وتعزيز صموده ودوره في النضال لاسترداد وطنه السليب. منها ما كان طابعه دفاعياً كانتفاضة الحجارة (8 كانون الأول عام 1987) التي حفَّزتها، بشكل رئيسي، النتائج الخطيرة لقمّة عمّان قبل شهر (8 ت2). تلك القمة جنحت نحو تطبيع واستعادة العلاقات مع النظام المصري الساداتي الذي أقدم على توقيع معاهدة سلام استسلامي مع إسرائيل، خرج بموجبها من «الصف العربي» فأُخرج من جامعة الدول العربية.

محطة غزة الحالية ذات طابع مزدوج، هجومي عبر استهداف مواقع المحتلين، العسكرية والأمنية والمستوطنات في امتداد «غلاف غزة». شكَّل ذلك ذروة في استئناف تنظيم التصدي الهجومي للعدو، والذي برز فيه، قبل أشهر، دور مجموعات شبابية، ودور حركة «الجهاد الإسلامي»، في بعض مخيمات الضفة الغربية ومواقع أُخرى: عبر الكمائن، والمجابهات المباشرة، وإطلاق النار على حواجز العدو... أمّا الطابع الدفاعي، لـ«طوفان الأقصى»، فيتمثّل في محاولة وقف المسار التصفوي للقضية الفلسطينية، الذي يشكل التطبيع إحدى حلقاته الأساسية. آخر وأخطر تلك الحلقات ما أعلنه الأمير محمد بن سلمان، حاكم السعودية الفعلي، من أن قطار التطبيع السعودي مع العدو قطع مسافات مهمة، ويمضي قدماً. مسحت السعودية التي كانت تشجع تطبيع حلفائها مع العدو، وتربط تطبيعها هي نفسها معه بتطبيق مقررات قمّة بيروت لعام 2002 (وأهمها إنشاء «دولة فلسطينية» على حدود 1967)، مسحت مواقفها السابقة. اكتفى وليّ العهد، في مقابلته الشهيرة مع محطة «فوكس نيوز» الأميركية (21 أيلول الماضي)، بإعلان السعي إلى «تحسين حياة الفلسطينيين»! في السياق، باشرت المملكة، بعد فتح الأجواء أمام الطيران الإسرائيلي، باستقبال بعثات ومسؤولي دولة العدو، من دون أن يُكلّف مسؤولوها أنفسهم عناء التوضيح أو التبرير، وذلك انصياعاً للإملاءات والضغوط الأميركية التي تولّت، في كل الظروف والتحولات، تغذية وحماية السياسات الإسرائيلية العدوانية والتوسعية والاغتصابية، وهو ما يتكرّر حالياً في الهجوم البربري على غزة بمشاركة أميركية كاملة.

إذاً، ليس صدفةً، كما تدلّ كل المؤشرات أن عملية «طوفان الأقصى» (رغم المدة الطويلة التي تطلّبها إعدادُها على النحو المحكم والفعّال الذي ميّز تنفيذها)، قد حصلت، بعد أيام قليلة، من إعلان السعودية وصول علاقاتها مع العدو إلى مرحلة متقدمة! إنه، مرةً جديدة، استشعار الخطر من قِبل الشعب الفلسطيني، والذي جرى التعبير عنه بواسطة «حماس» على النحو الذي رمى إلى قلب الطاولة على المتطرفين الصهاينة، والمطبّعين من الأنظمة العربية التي تدور في الفلك الأميركي، ولغرض إعادة الأمور إلى مبتدئها الأول.

كان ثمة دائماً صراع، خفيّ أحياناً، وظاهر غالباً، ما بين اتجاهين: الأول الذي يقوده الصهاينة وحماتهم وفي مقدمتهم واشنطن، من أجل تصفية القضية الفلسطينية بكل الوسائل بما فيها الأكثر إجراماً ووحشية ودموية. بلغت الذروة مع مجيء حكومة المتطرفين في إسرائيل برئاسة نتنياهو. هذه الحكومة ذهبت بعيداً في الاستفزاز والانتهاكات والاعتداءات، بما في ذلك على المقدسات من دون أن تُواجَه سوى ببعض العتب الناعم من قِبل من يصنّفون أنفسهم «خدم الحرمين» ورعاة المقدسات، أو من قبل المتاجرين بحقوق الإنسان وحريته وسيادة البلدان وحقوق شعوبها. والطرفان المذكوران يمكن إيجادهما دائماً وأبداً، في المعسكر الغربي والدولي الذي تقوده الولايات المتحدة. كل ذلك جرى ويجري بالتزامن مع الإمعان في تفكيك البلدان العربية وتفتيتها وإغراق المزيد منها في أزمات وحروب وانقسامات لا تنتهي... أما قطار التطبيع فلم يستثنِ حتى تلك الدول المنهكة بالانقسامات والأزمات على غرار السودان وليبيا. وأخيراً السعودية التي تقع فيها قِبلة المسلمين الأولى وأبرز مقدساتهم. كان الاتجاه السائد يشق طريقه بقوة، ويعزّز نجاحاته بمزيد من الضغوط، واستعصاء الأزمات، والعقوبات، والحصار والإغراءات والتهديدات وكل ما يقع في نطاق «الحروب الناعمة» بكل أدواتها الدعائية والإعلامية والتحريضية والإغراقية والإغرائية، يدخل في هذا السياق، أيضاً، وسم كل مقاومة للعدوانية الأميركية - الصهيونية بالإرهاب! لقد اقترن زرع دولة الاغتصاب الصهيوني ودورها العدواني والتوسعي، بمشروع الهيمنة الغربية عموماً (والأميركية خصوصاً)، على المنطقة. المشروع الصهيوني هو جزء من المشروع الاستعماري الغربي وأداة له في الوقت نفسه. ولذلك حظي هذا المشروع بدعم لا مثيل له ولا حدود. وهو ما نشهد نموذجاً عنه الآن في الحرب على غزة التي تحوّلت إلى حرب صهيونية أطلسية بكل ما في الكلمة من معنى.

في الطرف الثاني، كان يقف، وبشكل متواصل، رغم الأخطاء والمراوحة والتعثّر أحياناً، فريق يسعى إلى مقاومة خطط الفريق الأول وسياساته وإجراءاته. وهو فريق فلسطيني وعربي وإقليمي ودولي إلى حد متزايد... ولقد أمكن في هذا السياق النجاح في منع سقوط سوريا في يد المحور الأميركي - الإسرائيلي... وتمّ، إلى حدٍّ كبير، استنزاف وإضعاف محاولة السعودية لبسط سيطرتها الكاملة على اليمن. كذلك أمكن إقامة توازن إيجابي في العراق، رغم السلبيات الكبيرة التي يولّدها نظام التحاصص الطائفي - المذهبي - العرقي... كذلك تمَّ إفشال محاولة خنق المقاومة في لبنان من خلال تحميلها مسؤولية الأزمة والانهيار، ومنعها، بالتالي، من الاستمرار في التصدي للعدو، ولدوره العدواني التوسعي في لبنان والمنطقة. وقد كان للعلاقات السياسية مع روسيا والصين دور مهم في دعم مسار التصدي للمخططات الأميركية والصهيونية. وهي علاقات ينبغي تطويرها لتتخذ طابعاً استراتيجياً في كل الحقول السياسية والاقتصادية والتنموية، على غرار ما أُقرّ، خصوصاً، في الزيارة الأخيرة للرئيس السوري للعاصمة الصينية.

لا شكّ أنه سيكون لـ«طوفان الأقصى» نتائج كبيرة، مهما كانت المحصلات المباشرة التي سيفضي إليها الصراع الضاري الراهن. لقد سقطت هيبة العدو وحماته ممّن تتجه إليهم، معاً، أصابع الاتهام بالتقصير والإهمال العسكري والمخابراتي (فضلاً عن المسؤولية المباشرة عن استمرار مأساة الشعب الفلسطيني). إن مساراً جديداً قد شقّ طريقه بقوة لمصلحة تطوير النضال لاستعادة حقوق الشعب الفلسطيني، ولإضعاف الهيمنة الأميركية على المنطقة ولإطلاق مسيرة تحررية تنموية حقيقية جدية وجذرية وشاملة، تكون في القلب منها قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه. أمّا شرط كل ذلك، فهو المباشرة في بدء مراجعة جدية، واسعة وصادقة، للتخلص من السلبيات والثغرات والأخطاء والأوهام والفئويات.

* كاتب وسياسي لبناني

> لا شكّ أنه سيكون لـ«طوفان الأقصى» نتائج كبيرة، مهما كانت المحصلات المباشرة التي سيفضي إليها الصراع الضاري الراهن

النفاق الأوروبي الرسمي

المستعمِرون المسلّحون مدنيّون والأطفال الشهداء إرهابيّون!

وسام رفيدي *

لمن كان يتوهّم ساذجاً بأن الدول الإمبريالية، «الدول الغربية» كمصطلح صحافي ملتبس، يمكن أن تقوم بدور الوسيط النزيه، فبنى كل منهجه السياسي على ذلك، لمن كان يقتات من فتات الليبرالية الرأسمالية فينتفخ بريش «ديموقراطيتها» ويحتقر شرقيتنا «المتخلّفة»، لمن كان يتقن التسول على أبواب المؤسسات الأوروبية طلباً لـ«دعم شعبنا» ونفخ جيوبه في الواقع، لكل هؤلاء جاءت حاملات الطائرات الأميركية والبريطانية، ومواقف أميركا وفرنسا وكندا وبريطانيا وألمانيا، لتُظهر حقيقة هذا الغرب الإمبريالي، لمن لم يلتقط سابقاً هذه الحقيقة، وليس كاتب المقالة منهم.

تكشّفت حقيقة ديموقراطيتهم لمن خفيت عليه في السابق. يتخذون موقف الداعم والمساند، والمشارك، في البربرية الصهيونية ضد قطاع غزة، حتى وصل الحدّ إلى منع أية مظاهر للتضامن مع أطفال غزة. يروّجون الأكاذيب الحقيرة عن سلوك المقاتلين الفلسطينيين من دون إثبات واحد، فيما كل صور مجازرهم ضد عائلات بأكملها، وضد الأطفال، بغضّ نظر إعلامهم عنها. يشيعون تشويهاً مقصوداً لحقيقة الصراع بأنه حملة من «حماس» ضد المدنيين، لا صراع بين شعب مستعمَر واستعمار صهيوني إحلالي. مستوطنو مستعمرات الكيان، كتجمعات عسكرية منذ نشأتها مطلع القرن العشرين لليوم، هم «مدنيون»، رغم أن كلهم مسلحون من رؤوسهم إلى أخامص أقدامهم، فيفقدون صفة المدنيين، فيما مئات الأطفال شهداء وعشرات العائلات مُسحت بالكامل لا يحوزون حسب إعلامهم تصنيف «مدنيين». لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل سارعوا إلى نجدة كيانهم الاستعماري، أداتهم في المنطقة منذ نشأته، بإرسال حاملات الطائرات والمشاركة الفعلية، عبر التنسيق العسكري والاستخباري، في العدوان على شعبنا. لتسمّى الأمور بمسمّياتها دون رتوش، وعلى الأقل احتراماً للدم المسفوح: إنه عدوان متعدّد الأطراف، تشارك فيه الإمبرياليات الفرنسية والكندية والأميركية والبريطانية والألمانية، ويتّسع ليتجاوز تلك الدول، ليضمّ بين صفوفه أنظمة الرجعية العربية، أنظمة التتبيع التي سعت في اجتماع وزراء الخارجية العرب إلى إدانة مقاومة شعبنا متجنّدة للدفاع عن الصهاينة حين أعلنت رفض «المس بالمدنيين من الجانبين»! أية وقاحة هذه تساوي بين مستعمِر مسلح وطفل شهيد؟ لا عذر لمن تفاجأ.

الصراع الدموي بين شعبنا وحركة تحرّره من أجل التحرير والعودة، أعادت ذلك الصراع إلى حقيقته، وحدّدت أطرافه من جديد لمن كان يعاني من غباش الرؤية. الإمبريالية الأوروبية والأميركية، والرجعية العربية، هم معسكر الأعداء، وبعض من العرب الرجعيين. لا تتفاجأُوا في لحظة إن اكتشفتم مشاركتهم الفعلية في العدوان؛ ألم ينظّم هذا البعض مناورات عسكرية مشتركة مع جيش الصهاينة، وكذلك تعاوناً استخبارياً معلناً. وما فائدة كل هذا التعاون العسكري والاستخباري إن لم يكن للحظة السعي إلى الإجهاز على المقاومة، العدوّ المشترك، وحاضنتها الشعبية، كهذه اللحظة؟

إنّ العداء الإمبريالي الغربي لشعبنا كان ولا يزال ركناً رئيساً في تاريخ الصراع، وقد أعلنها بلينكن صراحة، الذي جاءهم كيهودي لا كوزير خارجية: ندعم إسرائيل أمس واليوم وإلى الأبد! إنه واثق من بقائها إلى الأبد، فيما الصهاينة أنفسهم غير واثقين بذلك.

ويستمر الصهاينة في حملة الأكاذيب، وماذا يملكون غير الأكاذيب وحمام الدم؟ ذلك تاريخهم منذ ما قبل عام 48 حتى آخر صاروخ سقط ويسقط على منزل عائلة في غزة، حتى إن رئيسهم استمر في كذبة قطع الرؤوس وحرق الأطفال، كانت كذبة وقحة وغبية معاً إلى درجة أن البيت الأبيض نفسه لم يستطع «جمطها»، فأعلن أننا لم نر صوراً لذلك، رغم أن بعض الصحافة الإمبريالية كررتها كـ«الواشنطن بوست». ومع ذلك، لا يهمّ البيت الأبيض وساكنه العجوز أن الصهاينة يكذبون بلا حياء، فهو يعلن صهيونيته، فتلك الأكاذيب تفصيلية صغيرة، فالمهم دعم شرطيّهم في المنطقة. ومع أن الرهان والدور التاريخي هو أداء الكيان دور الشرطي في خدمة أسياده الإمبرياليين وضد شعوب المنطقة ونزوعها إلى التحرر الوطني من الاستعمار والهيمنة، والقيام بهذا الدور مراراً، إلا أنه أثبت عجزاً عسكرياً واستخبارياً مفضوحاً يوم 7 أكتوبر الماضي بحيث بات يحتاج إلى من يحميه باستدعاء البوارج البريطانية والأميركية، وتجنيد كل الصحافة الإمبريالية لنشر الأكاذيب والتشويهات. ولم يجد هذا الكيان المهزوم من وسيلة لرد اجتياح المقاومين العبقري سوى بنك أهداف عنوانه منازل العائلات والأطفال والمؤسسات على مختلف أنواعها. إنه يسعى إلى استعادة هيبته بقتل أكبر قدر ممكن وليرفع معنويات مستعمريه. ليس هذا بجيش مَنْ عمله العسكري ضمن هذا التوجه، فأيّ «عمل عسكري» هذا أن تجوّع 2 مليون وتقطع عنهم المياه والكهرباء والدواء، قبل وبعد مسح عائلات بأكملها. إنه سلوك الفاشيين العنصريين دون رتوش.

الإمبريالية الأوروبية والأميركية هي هي، فقط اليوم تظهر بكامل وقاحتها العنصرية المعادية، والرجعية العربية أيضاً هي هي، لا تخجل من عدائها للمقاومة. فقط على المراهنين على كل هؤلاء أن ينفضوا أيديهم، وعلى شعبنا أن يرفض التعاطي معهم وكأنّ شيئاً لم يكن، ورفض التعاطي يعني رفض التعامل مع مؤسساتهم و«تمويلهم» التخريبي، ومحاصرتهم وطردهم من وطننا.

* كاتب فلسطيني وأسير سابق

> إنّ العداء الإمبريالي الغربي لشعبنا كان ولا يزال ركناً رئيساً في تاريخ الصراع

طوفان الأقصى

أعلام فلسطين تلوّن مدن العالم

(اليمن ـ أ ف ب)

(إيران ـ أ ف ب)

(العراق ـ أ ف ب)

(إندونيسيا ـ أ ف ب)

لبّى أنصار فلسطين في العالم، نداء غزة، أمس، فتلوّنت عواصم ومدن كثيرة في أرجاء المعمورة، بالأعلام الفلسطينية والكوفيات، تنديداً بالعدوان الوحشي الذي تشنّه إسرائيل على القطاع بكلّ آلتها الحربية العمياء، والتي لا تميّز بين مقاتل وطفل وامرأة وشيخ، والمدعومة بعراضة من حاملات الطائرات والسفن الحربية الغربية، بقيادة أميركية؛ وتأييداً لعملية «طوفان الأقصى» التي شنّها المقاومون الفلسطينيون، ومثّلت صفحة جديدة في الكفاح الفلسطيني الطويل.

وإذا كان لسان حال المتظاهرين في المدن العربية والإسلامية، هو الاستعداد للقتال إلى جانب المقاومة الفلسطينية إذا أتيحت الفرصة لذلك، وفي أقلّ الأحوال مدّ الفلسطينيين بأسباب البقاء والصمود، فإن ما جرى في عواصم ومدن الغرب من تضامن مع فلسطين، وتطلّب تحدّي قرارات بحظر التحرّكات، كما في فرنسا، يُسجّل مستوى جديداً من الجرأة، يُعتبر مؤشراً إلى انقلاب في مزاج الرأي العام الغربي الذي ضاق ذرعاً بإسرائيل ومَلّ جرائمها وأكاذيبها، وصار أكثر إدراكاً للمظلومية الفلسطينية، وأكثر تعاطفاً حتى مع المقاومة في قتالها لتحرير أرضها من أخبث احتلال عرفه التاريخ العالمي الحديث.

على أن التظاهرات التي سُجّلت في عواصم ومدن الدول التي تنضوي ضمن «محور المقاومة»، كانت الأكثر حشداً، وهو ما بعث برسالة إلى العدو بأن هذه الساحات يمكن أن تنضمّ إلى القتال إذا تطوّر إلى حرب أوسع تشارك فيها القوات الأميركية، كما هي الحال في العراق حيث يمكن أن يكون الجنود الأميركيون هدفاً لهجمات فصائل المقاومة، أو في اليمن الذي سبق لقيادته أن لوّحت بقصف إسرائيل بالصواريخ والمُسيّرات البعيدة المدى. ففي بغداد، آزر طوفان بشري، مقاتلي المقاومة والمدنيين الصامدين في قطاع غزة، في رسالة مفادها أن القطاع ليس وحده في هذه المعركة، وذلك بدعوة من زعيم «التيار الصدري»، مقتدى الصدر، الذي كان قد وجّه رسائل متتالية منذ بدء «طوفان الأقصى»، في ما عدّه مراقبون استعداداً من جانبه لدخول المعركة في مرحلة من المراحل، إذا دعت الضرورة، ولا سيما إذا تدخّلت فيها القوات الأميركية لمصلحة العدو. وأقيمت صلاة موحّدة وتظاهرة مليونية في بغداد، كان الصدريون قد استبقوها بتداول أشرطة فيديو تذكّر بقتال «جيش المهدي» (تحوّل اليوم إلى «سرايا السلام») القوات الأميركية في العراق عام 2004.

أمّا في اليمن، فاحتشد الملايين في تظاهرات شملت 13 محافظة واقعة تحت سيطرة حكومة صنعاء. وتواصلت التظاهرات من الصباح الباكر حتى المساء، ضمن «جمعة الطوفان»، بحسب البرنامج الذي أعدّته «اللجنة الحكومية المنظّمة للفعاليات»، وجرت في 31 ساحة في العاصمة والمحافظات، إضافة إلى عشرات الوقفات الاحتجاجية التي أقيمت عقب صلاة الجمعة في مختلف المديريات. وأكّد المشاركون في مسيرة صنعاء، في بيان، الاستعداد للمشاركة الفعلية في القتال وإرسال مئات الآلاف من المجاهدين للدفاع عن فلسطين والشعب الفلسطيني والمقدّسات، معلنين التأييد الكامل لأيّ قرار يجده زعيم «أنصار الله»، السيد عبد الملك الحوثي، مناسباً، في إطار التنسيق مع «محور المقاومة».

(الأخبار)

(المكسيك ـ أ ف ب)

(تونس ـ أ ف ب)

(بلغاريا ـ أ ف ب)

(البحرين ـ أ ف ب)

(فنزويلا ـ أ ف ب)

(الأردن ـ أ ف ب)

الأخبار
al-akhbar
السبت 14 تشرين الأول 2023 العدد 5035

هوامش على دفتر «الطوفان»

«دار الثقافة»: لا للاحتلال

في ظلّ المجزرة الدموية التي يرتكبها العدوّ الإسرائيلي بحقّ مليونَي فلسطيني في غزّة، وجّهت أكاديمية «دار الثقافة» نداءً إلى «أهل الشرف والكرامة، ونبلاء الأمة وأحرار العالم، والنخب الثقافية العربية والعالمية». وممّا جاء في النص: «نهيب بكم، من أجل إعلاء الصوت ضد آخر هجمة استعمارية في العالم، نعني الاحتلال الإسرائيلي للبلاد الفلسطينية العزيزة، من أجل فضح ممارساته العنصرية، وحلة الظلام التي يفرضها بالقوة على وجوه الحياة الفلسطينية كلها، والكشف عن داعميه ومزوّديه بالأسلحة الفتاكة». وعدّ النداء أنّ الآن «هي لحظة النور التاريخية، لحظة الشجاعة لمواقفة مرآة العدالة، لحظة الإخلاص للإبداع الخالد، والمبادئ الإنسانية، وقيم المحبة والحرية والشرف من أجل تبني المواقف التي تنادي جهراً بالحق والخير والجمال...». ودعت الأكاديمية إلى إعلاء الصوت: «لا للاحتلال الصهيوني، ولا لبطشه ودمويته ونازيته وعنصريته، ولا لإبادة مليوني فلسطيني يعيشون في غزة في ظلّ حصار خانق من البر والبحر ورائحة البارود. لا لثقافة الموت اليومي التي يعاني منها الفلسطينيون ويرفضونها. ولا لثقافة القوة والإخافة والترويع التي يمارسها المحتل الإسرائيلي... ونعم للحرية والتحرر، ونعم لثقافة الحياة والعيش بسلام وكرامة وشرف».

حكايات الوطن والحريّة

أعلنت «جمعية تيرو للفنون» و«مسرح إسطنبولي»، عن إطلاق الدّورة الخامسة من «مهرجان لبنان المسرحي الدولي للحكواتي» تحية إلى الشعب الفلسطيني في «المسرح الوطني اللبناني» في مدينتي صور (جنوباً) وطرابلس (شمالاً)، بدءاً من اليوم السبت وحتى بعد غدٍ الإثنين، تحت شعار «حكايات الوطن والحريّة». ينطلق الحدث بوقفة تضامنية أمام المسرح بمشاركة الحكّائين والجمهور. وفي هذا السياق، أكد مؤسّس «المسرح الوطني اللبناني»، الممثل والمخرج قاسم إسطنبولي (الصورة)، أنّه «علينا جميعاً في هذه الظروف الإنسانية الصعبة أن نوجه التحية إلى الثائرين والمناضلين والأحرار في فلسطين الأبية التي تثبت للعالم أنه لا معنى لنحيا بلا الحريّة وتكتب حكاية إنسانية في وجه الظلم والاستبداد ستبقى خالدة للأجيال القادمة». يهدف المهرجان إلى الحفاظ على الموروث الشفوي والتراث والهوية والفن الحكواتي، والعمل على نقله إلى الأجيال، فضلاً عن تبادل تجارب وممارسات تراثية مختلفة، وفقاً لما يؤكّده القائمون عليه في بيان. كما أنّه يسلّط الضوء على أهمية العربية الفصحى في العالم العربي والحفاظ عليها، وإعادة إحياء فن الحكاية الشعبية والتراث الشعبي ليكون في متناول الأجيال. وتكرّم هذه الدورة روّاد المسرح أنطوان ولطيفة ملتقى والممثل نقولا دانيال.

قاطعوا «ماكدونالدز»!

انطلقت على مواقع التواصل الاجتماعي حملة واسعة تدعو إلى مقاطعة سلسلة مطاعم الوجبات السريعة الأميركية «ماكدونالدز»، بعد انتشار أخبار تؤكّد تبرّعها بوجبات يومية لجنود الجيش الإسرائيلي المستمرّ في حربه الوحشية على غزّة منذ السابع من تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي. وفيما انتشرت على X (تويتر سابقاً) تغريدات تفيد بأنّ «جنوداً إسرائيليين شوهدوا وهم يحملون وجباتهم المجانية» من فروع «ماكدونالدز» في عدد من المستوطنات الإسرائيلية، أعلنت السلسلة الشهيرة عبر حسابها الرسمي على المنصة نفسها تبرّعها بوجبات مجانية للجيش الإسرائيلي: «افتتحنا 5 فروع تتعامل فقط مع المساعدات والتبرعات لقوات الأمن والإنقاذ (الإسرائيلية)». وأضاف الحساب: «سنتبرع كل يوم بنحو 4000 وجبة». وعلى إنستغرام، عبّرت صفحة «ماكدونالدز إسرائيل» الرسمية عن تضامنها مع الكيان الصهيوني منذ بدء عملية «طوفان الأقصى». وترافقت دعوات المقاطعة مع تعليقات ساخرة من مستوى وجبات «مكدونالدز» وأثرها السيّء على الصحة. علماً أنّ «ماكدونالدز» تجاهر منذ زمن بدعمها للإسرائيليين، وسبق أن اشترت شركة معلوماتية إسرائيلية، في إطار صفقة بقيمة 300 مليون دولار، تُعدّ الأكبر منذ عقدين في تاريخ عملاق المأكولات السريعة.

فصلٌ من أسطورة

«أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
وانظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح
أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح
واقرع طبولك يستجب لك كل شعبك للقتال
يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال
يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال
ولتحملوا البركان تقذفه لنا حمر الجبال
هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
للثورة الكبرى على الغيلان أعداء الحياة
فإذا سقطنا يا رفيقي في حجيم المعركة
فإذا سقطنا يا رفيقي في حجيم المعركة
فانظر تجد علما يرفرف فوق نار المعركة
ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة
ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة».

قصيدة المعركة، معين بسيسو.

فهرس

اشارات:
- الواقعية السحرية: المقاومة تطيرا يوسف شرقاوي
- أو تنابشتم الفلسطيني: الطوفان من مسافة صفر النضاليا رياض ملحم
- عين هنا وقلبٌ هناكا اسلام المزازي
- عن «الإنسانويين» الواقفين على حافة المشرحةا مصطفى علي

حكاية عين:
- أيها العالم! ا هاشم رسلان

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 14 تشرين الأول 2023
العدد 5035 السنة الثامنة عشرة
Samedi 14 Octobre 2023 nº 5035 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

وتشهد أنك قاتلت الغارات وقاتلت البحر
وقاتلت طوابير الدبابات
وقاتلت خيانات الدبابات الأخرى
وصمدت صمود الأنواء
رشاشك كان وكالة أنباء الثوار
إذا كذبت فيك وكالات الأنباء
خذ جورب سيدة ذُبحت
احفظه بجيبك
ذاك صراطك يا عبد الله
في الليل تسلل
هنالك جندي محتل اخنقه بهذا الجورب
لعلك تشفي واحد بالألف من الحقد بقلبك
هذا الجورب سكين
حذاء شهيد سكين
فرشاة حلاقته سكين

(«عبد الله الإرهابي» ـ مظفر النواب)

هاني زعرب ــ «انتظار رقم 6» (مواد مختلفة على كانفاس ــ 81 × 60 سنتم ــ 2011)

طوفان الأقصى

يوميّات تحت النار: وأصلّي خلف غزّي يسمّى حنظلة

«فإن الحقّ، يقطر جانباه/ دماً، صنع المروءة والسماح/ وتاريخ الشعوب إذا تبنى/ دم الأحرار لا يمحوه ماحٍ» (الجواهري). ينتصر مهزومو ومنسيّو التاريخ بشهادة كُتّابهم ومؤرخيهم، مهما بَحَثَ وضعف صوتهم. هذا الملف تجميع لمواقف لثلّة من أشرف الأقلام في شهادتهم لشعبهم وللفلسطينيين وحركتهم التحررية المسلحة. بكّه فصائلها، اليوميات الأخرى، تفاصيل ووقائع صارخة للألم وآمال الناس من وسط حصار 17 سنة لأكبر سجن مفتوح على السماء في العالم: غزة. تركنا لمجموعة من الشهادات طابعها العفوي الشفوي. فلا شيء اهم الآن بأن يُسمع منْ أخرسهم جبروت الغرب وآخر كولونيالياته البيضاء صوتهم بعالي الصراخ، وكيفما كانت لغة وشكله الصراخ. الصراخ والرفض مقاومة. الحرية لفلسطين، والنصر للفلسطينيين، فلسطينيي كل العالم.

تقديم واختيار **رشيد وحتي**

صلاةٌ بإمامة حنظلة

وليد السويركي

يصلّي صاحبي خلف شيخ
يتيه بسيّده وإلهه،
ولا يحفظ من قرآنه سوى
«وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها»

وأصلّي خلف غزّيٍ يسمّى حنظلة
في الكفّ ينقش أية الحجر
وعلى جدار الوقت يكتب
سورة الزّلزلة.

(شاعر ومترجم، عمّان/فلسطين)

ارضية صراع اوسع بكثير من غزة

محمد الناجي

ثمة، في كل الثقافات، خونة ومرتزقة، كلاب ضالة؛ والأدهى في الأمر: يكون هذا في الأزمنة الحرجة. كي نكون ديموقراطيين، من وجهة نظر الغرب، في هذه الأيام، علينا حمل أعلام قزحية وعلم إسرائيل. الهوفسفور على المباني السكنية في غزة، في عملية لغزة لم يبدأ فقط من وجع الضربة التي تلقتها، وإنما من وعيها أنّ أرضية الصراع قد صارت، من الآن فصاعداً، أوسع بكثير من غزة وأنها أصبحت عاجزة أمام هذه الوقائع.

فلسطين حرة، الغرب إرهابي.

(عالم اقتصاد وأكاديمي، الرباط)

للبيع حذاء طفل

حسين الصالحي

كتب همنغواي ذات يوم أقصر قصة قصيرة:
«معروض للبيع حذاء طفل لم يلبسه قط».
هو المشهد الذي شاهده بعد الحرب لطفل متوفٍ بجانبه حذاؤه الجديد.
يا ترى كم قصة قصيرة تركت فلسطين، كم قصة طويلة سكّتت بتلك الدماء!

(قصّاص، بغداد)

لقمة العيش كاسرة العين

احمد شافعي

في ما يتعلق بموقف محمد صلاح الذي لم يعلنه من الحرب الجارية، أنا رأيي ألا نسأل الصامتين، ولا ننقب في صدورهم، ونعذرهم فالله أعلم بظروفهم، وبكفننا المجاهرين بالتعريص، مع أن بعضهم أيضاً في الغالب لقمة العيش كاسرة عينه.

(شاعر ومترجم، القاهرة)

بايدن مزوّراً للتاريخ والوقائع

أكرم مسلّم

خطاب جو بايدن، سافل وخطير، ولا يقل خطورة عن حاملة الطائرات «فورد». استخدم بايدن تعبير «الشر المطلق» المستخدم في توصيف النازية كظاهرة شر فوق تاريخية غير قابلة للتفسير.
نزع بايدن الفعل الفلسطيني من سياقه التاريخي وزوّر معطياته الميدانية، ووضعه في إطار استهداف اليهود كونهم يهوداً، واستدعى داعش، مطلقاً المدفعية الثقيلة لخطاب يهيئ لجريمة واضح أنها ستكون مريعة.

(روائي، رام الله)

بشارة

أحمد سأجت شريف

واضاؤوا كالقناديل
وجاؤوا كالبشارة...

(شاعر، بغداد)

حرب الغرب في غزة

شادي لويس بطرس

في الليلة الثانية من «طوفان الأقصى»، مررت عرضاً بجوار مقر رئيس الوزراء البريطاني، فرأيت واجهة «داونينغ ستريت» مُضاءة بألوان علم إسرائيل، وأصابتني رعدة باردة في جسدي. برج إيفل، وبوابة براندنبورغ البرلينية، ومؤسسات الدولة في فيينا وغيرها، الجميع يرفع ألوان العلم عينه. مستويات إعلان التضامن وجماعيته ورسميته المدموغة بنجمة داوود في الفضاء المعماري الأوروبي يذكّر بالفزعة الغربية للوقوف إلى جانب أوكرانيا.
افتتاحية لجريدة «وول ستريت جورنال» قبل ثلاثة أيام، تطلق صيحة الحرب بالنيابة: «إسرائيل تقف على الخطوط الأمامية، لكن العالم الديموقراطي هو الهدف».
على الملأ، يخرج وزير الحرب الإسرائيلي ليعلن جريمة حرب مكتملة، تكاد تكون جريمة إبادة جماعية، قطع إمدادات الماء والكهرباء والطعام والوقود كلياً عن كل سكان غزة بلا تمييز، هم «حيوانات بشرية، وسنتعامل معهم على هذا الأساس». لاحقاً، يخرج رئيس الوزراء الإسرائيلي، فيصحح وزيره: «نتعامل مع حيوانات». يمحو نتنياهو صفة بشرية عن حيوانيتهم. الفلسطينيون من وعيهم أنّ أرضية الصراع قد صارت، من الآن فصاعداً، أوسع بكثير من غزة وأنها أصبحت عاجزة أمام هذه الوقائع.
فلسطين حرة، الغرب إرهابي.
(عالم اقتصاد وأكاديمي، الرباط)

للبيع حذاء طفل

حسين الصالحي

كتب همنغواي ذات يوم أقصر قصة قصيرة:
«معروض للبيع حذاء طفل لم يلبسه قط».
هو المشهد الذي شاهده بعد الحرب لطفل متوفٍ بجانبه حذاؤه الجديد.
يا ترى كم قصة قصيرة تركت فلسطين، كم قصة طويلة سكّتت بتلك الدماء!

(قصّاص، بغداد)

لقمة العيش كاسرة العين

احمد شافعي

في ما يتعلق بموقف محمد صلاح الذي لم يعلنه من الحرب الجارية، أنا رأيي ألا نسأل الصامتين، ولا ننقب في صدورهم، ونعذرهم فالله أعلم بظروفهم، وبكفننا المجاهرين بالتعريص، مع أن بعضهم أيضاً في الغالب لقمة العيش كاسرة عينه.

(شاعر ومترجم، القاهرة)

بايدن مزوّراً للتاريخ والوقائع

أكرم مسلّم

خطاب جو بايدن، سافل وخطير، ولا يقل خطورة عن حاملة الطائرات «فورد». استخدم بايدن تعبير «الشر المطلق» المستخدم في توصيف النازية كظاهرة شر فوق تاريخية غير قابلة للتفسير.
نزع بايدن الفعل الفلسطيني من سياقه التاريخي وزوّر معطياته الميدانية، ووضعه في إطار استهداف اليهود كونهم يهوداً، واستدعى داعش، مطلقاً المدفعية الثقيلة لخطاب يهيئ لجريمة واضح أنها ستكون مريعة.

(روائي، رام الله)

بشارة

أحمد سأجت شريف

واضاؤوا كالقناديل
وجاؤوا كالبشارة...

(شاعر، بغداد)

حرب الغرب في غزة

شادي لويس بطرس

في الليلة الثانية من «طوفان الأقصى»، مررت عرضاً بجوار مقر رئيس الوزراء البريطاني، فرأيت واجهة «داونينغ ستريت» مُضاءة بألوان علم إسرائيل، وأصابتني رعدة باردة في جسدي. برج إيفل، وبوابة براندنبورغ البرلينية، ومؤسسات الدولة في فيينا وغيرها، الجميع يرفع ألوان العلم عينه. مستويات إعلان التضامن وجماعيته ورسميته المدموغة بنجمة داوود في الفضاء المعماري الأوروبي يذكّر بالفزعة الغربية للوقوف إلى جانب أوكرانيا.
افتتاحية لجريدة «وول ستريت جورنال» قبل ثلاثة أيام، تطلق صيحة الحرب بالنيابة: «إسرائيل تقف على الخطوط الأمامية، لكن العالم الديموقراطي هو الهدف».
على الملأ، يخرج وزير الحرب الإسرائيلي ليعلن جريمة حرب مكتملة، تكاد تكون جريمة إبادة جماعية، قطع إمدادات الماء والكهرباء والطعام والوقود كلياً عن كل سكان غزة بلا تمييز، هم «حيوانات بشرية، وسنتعامل معهم على هذا الأساس». لاحقاً، يخرج رئيس الوزراء الإسرائيلي، فيصحح وزيره: «نتعامل مع حيوانات». يمحو نتنياهو صفة بشرية عن حيوانيتهم. الفلسطينيون من وعيهم أنّ أرضية الصراع قد صارت، من الآن فصاعداً، أوسع بكثير من غزة وأنها أصبحت عاجزة أمام هذه الوقائع.
فلسطين حرة، الغرب إرهابي.
(عالم اقتصاد وأكاديمي، الرباط)

للبيع حذاء طفل

حسين الصالحي

كتب همنغواي ذات يوم أقصر قصة قصيرة:
«معروض للبيع حذاء طفل لم يلبسه قط».
هو المشهد الذي شاهده بعد الحرب لطفل متوفٍ بجانبه حذاؤه الجديد.
يا ترى كم قصة قصيرة تركت فلسطين، كم قصة طويلة سكّتت بتلك الدماء!

(قصّاص، بغداد)

لقمة العيش كاسرة العين

احمد شافعي

في ما يتعلق بموقف محمد صلاح الذي لم يعلنه من الحرب الجارية، أنا رأيي ألا نسأل الصامتين، ولا ننقب في صدورهم، ونعذرهم فالله أعلم بظروفهم، وبكفننا المجاهرين بالتعريص، مع أن بعضهم أيضاً في الغالب لقمة العيش كاسرة عينه.

(شاعر ومترجم، القاهرة)

بايدن مزوّراً للتاريخ والوقائع

أكرم مسلّم

خطاب جو بايدن، سافل وخطير، ولا يقل خطورة

إدواردو غاليانو: لو كنت فلسطينياً

ترجمة عبد النور زيّاني

منذ عام 1948، حكم على الفلسطينيّين العيش في إذلال دائم. لا يمكنهم حتّى التنفّس من دون إذن. لقد فقدوا وطنهم، أراضيهم، مياههم، حرّيتهم، كلّ شيء، حتّى الحقّ في انتخاب حكومتهم. لم يبقَ من فلسطين إلّا القليل. خطوة بخطوة، تمحو إسرائيل فلسطين عن الخريطة. يغزوها مستوطنون ويتيهم جنودٌ يعبدون رسم الحدود. ليس ثمّة حربٌ عدوانيّةٌ لا تدّعي أنّها في موقف دفاعيّ. غزا هتلر بولندا لمنعها من غزو ألمانيا. غزا بوش العراق لمنعه من غزو العالم. في كلّ حروبها «الدّفاعيّة» تبتلع إسرائيل قطعة أخرى من فلسطين، وتستمرّ الوليمة.

Eduardo Galeano: If I were Palestinian. A CubaNews translation. Edited by Walter Lippmann 2012

إدواردو غاليانو: دين شخص آخر

ترجمة عبد النور زيّاني

في عام 1948 ولدت دولة إسرائيل. في غضون بضعة أشهر، رحّل أكثر من ثمانمائة ألف فلسطينيّ. وتحوّلت أكثر من خمسمائة قرية إلى ركام. تلك القرى، حيث نمت أشجار الزّيتون والتّين والّلوز وأشجار مثمرة أخرى، هي الآن مدفونة تحت الطّرق السيّارة ومراكز التسوّق ومدن الملاهي. محيت ولم تتم تسميتها على الخريطة التي أعادت لجنة الأسماء الحكوميّة تسميتها. لم يبقَ الكثير من فلسطين. تمّ التذرّع بألفي سنة من الاضطهاد الذي عانى منه الشّعب اليهوديّ لتبرير هذا الجشع العنيد، مصحوباً بسندات ملكيّة ممنوحة من التوراة بسخاء. لطالما كان اضطهاد اليهود رياضة أوروبية. واليوم، يدفع الفلسطينيّون الفاتورة.

Eduardo Galeano: Children of the Days: A Calendar of Human History. Translated By Mark Fried. Nation Books; 1st edition 2013

أمثولة يشفي غليل الغرب ويعوض شعوره المتنامي بالهشاشة.

(روائي، لندن/مصر)

فازون من جنديّة الكرامة في كلّ معارك النخوة

أنيس الرّافعي

المجاهرون بالتكالب، والمضمرون للتطبيع، والمرتاعون من تبخّر غنائمهم، والمطرقون داخل قطن الصمت، والمفزوعون من عقاب المؤسّسة، والمتكتّمون عن إجرام المحتلّ، جميعهم في كيس بلاستيكي واحد، تفوح منه رائحة فقدان الشرف. إنّهم من يلوّنون بالتخاذل حدّ الإدمان، ويفزّون على الدوام من جنديّة الكرامة في كلّ معارك النخوة.

(قصّاص، الدار البيضاء)

دناءة من أدار ظهره للحقيقة

سعيف علي

كلّ الذين ينطلقون للحديث عن حرب غزة عبر المصادرة، وأعني المغرمين ببداية الحديث بـ«نعم أنا مع» ثم يتبعونها بحذلقة «لكن»، إنما يفعلون ذلك كمثل الذي يريد أن يعبب البحر لوسعه.
فقل ما شئت وصادر ما شئت، لكن الأمور لن تكون كما كانت سابقاً و 7 أكتوبر تاريخ فاصل في تاريخ فلسطين كلّها.
لا أنصحك بالابتسام طويلاً، فهي دناءة من أدار ظهره للحقيقة.

(شاعر، تونس)

دأبة دبلوماسية

نهى أبو عرقوب

هناك من لديه القليل جداً من الأوراق يستخدمها بكل ذكاء، وهناك من لديه الكثير من الأوراق ولا يريد أو لا يحسن استخدامها، وهنالك من ليس لديه لا أوراق ولا ذكاء.
كل واحد ووضعه. قد تظهر علامات يوم القيامة في هيئة دابة تتحدث للناس وتقول لهم:
– كلا الطرفين.

(مترجمة، عمّان/فلسطين)

هو الأمل

محمد الأمين الكرخي

لا أعرف شعباً في العالم خسر معركة دافع فيها عن أرضه وهويته. الأمل حقيقة من لحم ودم.

(شاعر ومترجم، لاهاي/ العراق)

الحياد خيانة

محمود عباس

في غزة، تشرق الشمس من الغرب، كأن الساعة قامت! نخاف أن تغفو أعيننا ونمام فيحاسبنا الله على خذلانهم.

(كاريكاتوريست، غزة)

ما نخسره بالحرب أقل ألف مرة مما نخسره بالمفاوضات

فتحي عبد الصميع

تعلمنا من فلسطين أن الحرب سكينٌ حامية والمفاوضات العربية سكين باردة، الحرب تقتلك وأنت مستيقظ، والمفاوضات تخدّرك ثم تقتلك ببطء وأنت نائم، الحرب تقتل الواقع ولا تقترب من الحلم، والمفاوضات تقتل الواقع والحلم، الحرب قاسية جداً وبغيضة، والمفاوضات ناعمة جداً ومسلية، لكن ما نخسره بالحرب أقل ألف مرة مما نخسره بالمفاوضات.

(شاعر، القاهرة)

تاريخ إنشاء حي الرمال

أبا هر السقا

كان حي الرمال في بداية الحقبة البريطانية يقع على أطراف المدينة التي تعج بالكثبان الرملية قبل الوصول إلى البحر، وكانت هذه الكثبان نتيجة زحف رمال البحر، فعمل فهمي الحسيني (وهو شخصية وطنية وأول رئيس بلدية بالانتخاب في المدينة) على إنشاء حي جديد فيها، لم يكن فيه إلا عشرات البيوت في المناطق القريبة من شارع عمر المختار، وخصوصاً في جانبه الشمالي.
وقد نشأت غزة الجديدة التي قرر الحسيني بناءها عبر التوسع في المدينة، عبر سياسة تشجيع السكان على تملك أراض فيها. ولتشجيع الناس على الانتقال إلى هذه المنطقة، أنشئت خزانات للمياه بسعة 3000 متر مكعب. وبدأ الناس بشراء أراض، وكان المواطن يدفع جنيهاً ونصف 3 جنيهات و1500 متر.
بالتالي حوّل فهمي الحسيني الكثبان الرملية المحاذية لشاطئ البحر إلى أحد أرقى أحياء مدينة غزة في الحقبة البريطانية. وفي المدة ما بين عامَي 1928 و1939، تحسنت الخدمات للمواطنين، وألزم السكان بالاشتراك بشبكة المياه.
غزة الجديدة حيّ فيه شوارع واسعة وأرصفة، وتفصل مسافة بين البيوت فيه، ونتيجة هذا التوسع تقرر توسعة المدينة في اتجاه الرمال وأراضي المنتزه البلدي، أي إلى الحي الغربي..
شهدت المدينة في الثلاثينيات ومع بداية الأربعينيات حركة بناء وعمارة ملحوظة، وبناء على ما سبق، وكما هي الحال في كثير من المدن، شهدت المدينة حراكاً جغرافياً، أدى إلى حراك اقتصادي واجتماعي. يعدّ حي الرمال اللبنة الأساسية للمدينة الجديدة ذات الشوارع الواسعة والأرصفة، وفي سنوات لاحقة أصبحت تتمركز فيه المؤسسات العامة، والهيئات، والنوادي، وأماكن الاصطياف، والمطاعم، والشوارع الواسعة والأرصفة للتنزه..
وفي أزمنة تاريخية لاحقة، جرت مجموعة تغيرات على هذا الحي فأصبح حيين: شمالياً ومركزياً (الحي الأول الأصلي) وجنوبياً، وأعاد هذا توزيع علاقة السكان بالمركز والأطراف في فضاء حضري، إذ تمددت مدينة غزة نحو البحر في اتجاه الشمال والشرق والغرب حتى البحر، والواضح أن المدينة شهدت تطوراً عمرانياً ملحوظاً ونهضة حضرية ناشطة.

(أباهر السقا ـ «التاريخ الاجتماعي تحت الاستعمار البريطاني 1917-1948». مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018).

الحرب الأوضح والأعدل

سيف دعنا

هذه الحرب الأكثر وضوحاً والأكثر عدلاً في التاريخ الحديث، ويصح فيها القول: الخير كله خرج ليقاتل الشر كله، والحق كله خرج ليقاتل الباطل كله:
1. الأقفر في العالم يقاتلون المعسكر الأغنى في العالم مجتمعاً.
2. الأكثر اضطهاداً يقاتلون كل الاضطهاد في العالم مجتمعاً.
3. أخر المستعمرين يقاتلون آخر وأبشع استعمار استيطاني إبادي على وجه الأرض.
4. الأشجع والأشرف والأنبل يقاتلون الأجبن والأنذل والأسفل.
هذه الحرب الأكثر وضوحاً والأكثر عدلاً، والأهم في كل تاريخ العرب الحديث ولا مكان فيها للحياد. الحياد اليوم ليس مجرد خيانة، بل مشاركة في دمنا، ومن يستطيع أن يقدم شيئاً ولا يفعل، يجب أن يخجل من نفسه.
وكل عربي ومسلم يستطيع، نعم يستطيع، ويجب، نعم يجب، أن يفعل شيئاً، وكل من يصمت، وكل عربي لا يفعل شيئاً هو شريك في العدوان علينا وشريك في دمنا ويجب أن يخجل من نفسه.
ليس هناك أشرف من الموت في الحرب دفاعاً عن الوطن والأهل، وليس هناك حرب أشرف وأوضح وأكثر عدلاً من هذه الحرب، وليس هناك أشرف من الموت في هذه الحرب. ليس هناك أشرف من الموت من أجل فلسطين.
دعاؤهم في غزة الآن: اللهم يا رب المجاهدين إحدى الحسنيين، إما النصر أو التشرف بلقائك مخضبين بدمائنا.

(كاتب وأكاديمي عربي، وسكنسن)

عودة الروح

أحمد العجمي

علمتنا الطبيعة بأن المطلق هو الحركة والتغيير؛ والحركة فعل ناتج عن طاقة الذات وقدرتها وإن احتاجت إلى عوامل مساعدة للدفع والتعجيل. هذا الوعي العميق بهذا المطلق هو ما راهن عليه عقل الأمل بانتصار الحق والقضية الفلسطينية رغم ما واجهه من معجم السخرية واليأس للدفع به ناحية العدم.
دائماً ما كان يردد العدو ومن يواليه وينصره ومن يتسحر بقوته ورعونته بأن الكيان الصهيوني قوة غير قابلة للهزيمة من قبل العرب المهزومين من الداخل، ولا سبيل سوى الاستسلام له والإذعان لمشاريعه!
عنصرية وجبروت هذا الكيان نفخا فيه روحيهما وصيّراه فاقداً للرؤية وممتثلاً للسكون وغير قادر على قراءة ذاته وقراءة واستبصار حركة التاريخ وتوترات الواقع الرجراج.
لقد تفاعلت مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية التي أخذت تهرش وتنخر عظام هذا الكيان، في اللحظة التي تفاعلت كيمياء هذه العوامل في تكوّن عقل مقاوم يغرف من معجم الأمل والإرادة والفعل ومراكمة القدرة ويستثمر طاقة الحركة بوتيرة منتظمة ومتسارعة.
وحين كان هذا الكيان يتهشّم من الداخل ويحاصر من عقل المقاومة، لجأ إلى الوهم من أجل النفخ في هيكله عبر التمدد بالتطبيع مع الأنظمة التي تدير بصرها عن قضيتها وعن شعوبها وتُسهم في ترسيخ صلوات اليأس والانهزامية أمام التاريخ الذي لا يلتفت لصلواتها.
وفي فجر السابع من أكتوبر 2023 المضيء فُرك مصباح علاء الدين بإرادة النار ليخرج المارد الفلسطيني بسرعة البرق وبروحه العليا المشبعة بطاقة الحركة والإرادة الواعية والمنظمة، ويهشّم الصنم العنصري المحتل، الصنم الذي توهم أنه أصلب من الزمن.
إن طوفان الأقصى قلب قراءة المعجم في اتجاه عكسي، لتكون صفحات الأمل والنصر للمقاومة الفلسطينية روحاً ووعياً وإرادة، وتكون صفحة الرماد واليأس والهزيمة للصهاينة ولحزمة المطبعين معه والداعمين له.
إن ثورة الحجر والمقلاع التي فجرها أطفال الحجارة والتي كشفت عن روح المقاومة والنصر بالإرادة والإيمان قد رسمت هذه اللحظة التي مزقت أحشاء الكيان وأخرجت روحه المتغطرسة ورمتها خلف التاريخ.

(شاعر، المنامة)

القواعد الـ 11 لمشاهدة الأخبار على قناة غربية

خالد البكاري

القواعد الـ 11 التي يجب أن تعرفها قبل مشاهدة نشرة الأخبار المسائية على قناة إخبارية فرنسية أو غربية عموماً، وهي القواعد التي على مقدم الأخبار التقيد بها:
1. في الشرق الأوسط، الفلسطينيون دائماً هم من يهاجمون أولاً، وإسرائيل دائماً هي التي تدافع عن نفسها. وهذا ما يسمى الانتقام المشروع.
2. لا يحق للفلسطينيين قتل المدنيين من الجانب الآخر. إنه يسمى الإرهاب.
3. يحق لإسرائيل قتل المدنيين الفلسطينيين. وهذا ما يسمى الدفاع عن النفس.
4. عندما تقتل إسرائيل عدداً كبيراً جداً من المدنيين، فإن القوى الغربية تدعوها إلى ضبط النفس. وهذا ما يسمى رد فعل المجتمع الدولي.
5. لا يحق للفلسطينيين أسر جنود إسرائيليين، حتى لو كان عددهم محدوداً جداً ولا يتجاوز جندياً واحداً.
6. يحق للإسرائيليين اختطاف أي عدد يريدونه من الفلسطينيين (حوالى 12 ألف أسير حتى الآن)، ليس هناك سقف، ولا داعي لتقديم أي دليل على ذنب المختطفين. كل ما عليك فعله هو أن تقول الكلمة السحرية: «إرهابي».
7. عندما تقول «المقاومة»، عليك أن تضيف دائماً عبارة «المدعومة من إيران».
8. عندما تقول «إسرائيل»، فلا يجب عليك طبعاً أن تضيف «المدعومة من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وأوروبا»، لأنه يمكن للمشاهد أن يظن أنه صراع غير متوازن.
9. لا تتحدث أبداً عن «الأراضي المحتلة»، ولا عن قرارات الأمم المتحدة، ولا عن انتهاكات القانون الدولي، ولا عن اتفاقيات جنيف. هذا قد يربك المشاهد ويشوش عليه.
10. الإسرائيليون يتحدثون الفرنسية والإنكليزية أفضل من الفلسطينيين. وهذا ما يفسر سبب منحهم الكلمة لهم ولمؤيديهم كلما أمكن ذلك. حتى يتمكنوا من شرح القواعد السابقة (من 1 إلى 9). وهذا ما يسمى بالحياد الصحافي. والاستعانة بخبراء من المنطقة لشرح ما يقع.
11. إذا كنت لا توافق على هذه القواعد أو إذا وجدت أنها تحابي طرفاً في الصراع ضد طرف آخر، فأنت معاد للسامية (بتصرّف من نص لمدوّن فرنسي).

(ناشط سياسي، كازابلانكا)

دريسدن-غزة

عادل الأسطة

وأنا أشاهد آثار الغارات الإسرائيلية على غزة، أتذكر مدينة دريسدن في نهاية الحرب العالمية الثانية، أراد الحلفاء وضع حد لنهاية الحرب وهزيمة هتلر، فاختاروا مدينتين ألمانيتين كانتا تصنعان السلاح؛ دريسدن وأوغسبرغ (زرت الأخيرة التي كانت تصنع الطائرات، لا لأنها صنعت الطائرات وأمدت الآلة العسكرية النازية بما يطيل أمد الحرب ويشعل قتيلها، وإنما لأنني سمعت أنها مدينة الكاتب المسرحي برتولد بريخت الذي ترك بلاده إبان صعود النازية، وفضل الإقامة في المنفى كونه كان شيوعياً، وعندما انتهت الحرب استقر في ألمانيا الشرقية وعاصمتها برلين الشرقية). لم أزر دريسدن، لكني منذ سنوات شاهدت فيلماً عن تدميرها وتسوية مبانيها بالأرض، في الفيلم تمنى كبار السن ممن أقاموا في الملاجئ الموت، وبلغ الأمر بإحدى العواجيز أن طلبت من جندي يملك مسدساً أن يريحها بإطلاق النار عليها، فلم تعد تحتمل.
وأنا أتابع أخبار غزة وتدمير آبراجها وبيوتها، وليس في غزة ملاجئ، تذكرت دريسدن، في الفيلم مبان سويت بالأرض، وثمة أطفال وكبار في السن قضوا. هل خطرت ببالي مدينتي هيروشيما وناكازاكي؟ كم مرة دمرت غزة؟

منذ استقلت شهدت أربع حروب ؛ 2008 / 2009 و 2012 و 2014 و 2021 و..
كلما وقعت الحرب على غزة، عدنا إلى النصوص نفسها وإلى الأفلام نفسها :
- أنا وأنت والحرب القادمة
- صمت من أجل غزة
- يوميات غزة
- دفاتر فلسطينية.
والحكاية تتكرر. ثمة حالة سيزيفية عبثية وثمة طائر عنقاء فلسطيني. تموز فلسطيني، وثمة خلدون فلسطيني ينجو ويستشهد أهله ليربيه الآخرون، فماذا سيفعل هذا الطفل الناجي في قادم الأيام؟
لا أحد يتعلم

(كاتب وأكاديمي، رام الله)

هنا باقون

آناتولا الأحباء.

المطران الكسيوس والآب سيلاس يتمنون أن تكونوا بخير أنتم وعائلاتكم، ويدوّنون إعلامكم أنهم لن يسافروا خارج البلد.

(بطريركية الروم الأرثوذكس الأورشليمية في غزة . عن صفحتها الرسمية)

على أحد ما أن يفعل ذلك

عاشور الطوبيي

تذهب إلى النوم مرتدياً تي شيرت، على ظهره، يلمع اسم لاعب كرة، سليل غزة قساة.
تكاد تركل فنجان القهوة الفارغ، لأنك عطست في حلمك، لقد ترك أحدهم النافذة مفتوحة.
حكام وقادة دول، تفخر بحرية الإنسان وكرامته، تعلن صراحة وقوفها الكامل واللامشروط، مع كيان، سرق الأرض والحرية والكرامة.
تلتفت ناحية الشرق، فترى حكاماً وقادة دول، شعوبها يدعون الله لهم بطول العمر والسؤدد، ينسون وهم يتقاذفون بيوت المال في عواصم الغرب، أن يعلنوا وقوفهم مع من ترك بلا أرض وبلا بطاقة هوية.
لا بأس، هذا كابوس عظيم، تنهض وتقفل النافذة، هامساً:
– على أحد ما أن يفعل ذلك!

(ليبيا/النرويج)

بيت تركته ولم يعد موجوداً

أيناس سلطان

2022: طيب، أنا حزينة على بيتي الذي تركته للحرب القادمة.
2023: البيت الذي تركته للحرب لم يعد موجوداً بعد الآن.

(شاعرة، غزة/أوسلو)

ماتوا بدون ما يأكلو

الأولاد ماتوا بدون ما ياكلو، يشهد عليّ الله، ماتوا بدون ما ياكلو..

(صرخة أم غزاوية، صباح 10,10,2023)

من سلسلة «جدران غزة» (2001) للفنان الفلسطيني تيسير البطنيجي

طوفان الاقصى

من دفاتر الثورة والنضال والحرية

على صدوركم باقون... كالجدار

إنها فلسطين: في البدء كانت الكلمة، والمعجزة، ونقطة الباء في البسملة، والتين والزيتون، وحيّ المسيح للإعازر لكي يحييه، وإسراء محمد ببراق الحبّ ومعراجه فوق ترابها المعروج اليوم بالدم، من الجليل إلى بئر السبع، ومن البحر إلى النهر، ومن عكا واسوارها وحيفا وبياراتها إلى بحر غزة الذي خرج منه المقاومون ومن الارض والسماء. ليجترحوا هم ايضا معجزة وجودهم بوجه العالم الوقح، عالم الرجل الابيض الذي يصف شعبا كاملاً بالحيوانات التي يجب إبادتها في آخر قضية كولونيالية في التاريخ هي المحك بين الإنسانية وعدمها، وحضور القيم وغيابها، وبين الشعر وسقط الكلام... هي الشعر وقد هام بها الشعراء من كل الاقطار، بلّت اقلامهم دماء نكبتها ونكستها وذبحها كل يوم بسكين الاحتلال والاستيطان والهمجية: هم شعراء نستحضر قصائدهم في كلمات قد الهمتهم حروف اسمها الستة ليكتبوا فيها قصائد تناقلتها الاجيال «من الشام لبغداد» ومن نجد إلى يمنٍ إلى مصر لتطوان» كما يقول فخري البارودي في قصيدته الشهيرة. إذ لم تنجح كل المحاولات ان تجعل منها قضية ثانية او ثالثة. لتبقى القضية المركزية الاولى طازجة مع الخبز، ومدوية مع الرصاص. يرددها الاطفال في المدارس، ويرتلها المؤمنون في الصلوات، نوجّه لها تحية هي الاضعف في صمودها ومقاومتها الباسلة، وصرختها في وجه المستكبرين حين «جاوز الظالمون المدى»

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

اخي جاوز الظالمون المدى

علي محمود طه ـ مصر

أخـي جـاوَزَ الظـالمونَ المَـدَى/ فحَـقَّ الجِهَادُ وحَقَّ الفِدَا
أنتْـرُكُهُـمْ يَغْصِبون العُروبَ/ةَ مَجْدَ الأُبَوَّةِ والسُّؤْدَدَا
وليسُوا بغير صَليلِ السُّيوفِ/يُجِيبُونَ صَوتاً لنا أو صدى
فَجَرِّدْ حُسَامَكَ من غِمدِهِ/فليس له بَعدُ أن يُغمَدا
أخـي أيُّهـا العـربيُّ الأبـيُّ/أرَى اليوم مَوعِدَنا لا غَدَا
أخِي أقبَلَ الشَّرقُ في أُمَّةٍ/تَـرُدُّ الضَّلالَ وتُحيي الهُدَى
أخي إنَّ في القدس أختاً لنا/أعدَّ لها الذابحون المُدى
صَبَرنا على غَدرهم قادرين/وكُنَّا. لهُم قَدراً مُرصدا
طَلعنا عليهم طُلوعَ المَنُونِ/فَطارُوا هَبَاءً وصارُوا سُدَى
أخِي قُم إلى قِبلَةِ المشرقين/لنَصحي الكنيسةَ والمسجدا
يسوع الشهيد على أرضها/يعانق في جيشه أحمدا
أخي قم إليها نشقُّ الغمارَ/دماً قانياً ولظىً مرعدا
أخِي ظمئت للقتال السيوف/فاورد شَباها الدمَ المُصعدا
أخِي إن جرى في ثَراها دَمِي/وأطبَقتْ فوقَ حَصَاها اليَدَا
ونَادى الجِمامُ وجُنَّ الحُسامُ/وشبَّ الضِّرامُ بها موقِدا
فعُشِّش على مُهجَةٍ حُرَّةٍ/أبَت أن يَمُرَّ عليها العِدا
وخُذ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ/جلاها الوغى ونَماها الندى
وقَبِّل شهيداً على أرضها/دَعا باسمِها الله واستُشهِدا
فلسطينُ بَعْدِي حِمَاكِ الشَّبابُ/فجَلِّ الفدائيُّ والمُفْتَدَى
فلَسطينُ تَحميكِ منَّا الصُّدُورُ/فإمَّا الحياةُ وإمَّا الرَّدَى.

يوم المعاد

عبد الله البردوني ـ اليمن

يا أخي يا ابن الفدى فيم التمادي/ وفلسطين تنادي وتنادي؟
ضجت المعركة الحمرا.. فقم/ونلتهب.. فالنور من نار الجهاد
ودعا داعي الفدى فلنحتزف/في الوغى، أو يحترق فيها الأعادي
يا أخي يا ابن فلسطين التي/لم تزل تدعوك من خلف الحداد
عد إليها، لا تقل: لم يقترب/يوم عودي قل: أنا «يوم المعاد»
عد ونصر العرب يحدوك وقل:/هذه قافلتي والنصر حادي
عد إليها رافع الرأس وقل:/هذه داري، هنا مائي وزادي
وهنا كرمي، هنا مزرعتي/وهنا آثار زرعي وحصادي
بائعة شاربه
بكيت فلسطينُ في حائط به قبل قد كانتِ الباكيه
فيالكَ من معبد نجّسوا حناياه بالسوءة الباديه
ويالكَ من قِبلة كدّسوا بمحرابها الجيْفَ الباليه
ويالكَ من حَرم آمِنٍ جياع ابن آوى به عاويه

يوم فلسطين

بدر شاكر السياب ـ العراق

يا راقصينَ على دم الصحراء/قد آن يوم الثورة الحمراء
تلك الشرارة بعد حين تنجلي/عن زاخر بالنار والأضواء
اليوم يحطم كل شعب ثائر/سود القيود بضحكة استهزاء
ويد يفر البغي من هزاتها/حمراء ضرجها دم الشهداء
فضت فم المستعمرين بلطمة/لا غير قاتلة ولا شلاء
واليوم يصرخ كل حر غاضب/في وجه كل مهووس الآراء
تلك الواطن أين عنها أهلها/فتروح تعرضها على الغرباء
والقدس ما للقدس يمشي فوقها/ صهيون بين الدمع والأشلاء
يا أخت يعرب لن تزالي حرة/بين الدم المسفوك والأعداء
ثارت أهلك في دمانا تلتظي/هيهات ليس لهن من إطفاء
حتى يضم ثرى الجزيرة أهلها/أو يلبسون مطارف العلياء

شريان فلسطيني

فؤاد حداد ـ مصر

شريان فلسطيني
اصحى يا نايم
وحّد الدايم
وقول نويت
بكره إن حييت
الشهر صايم
والفجر قايم
أصحى يا نايم
وحّد الرزّاق
رمضان كريم
مسمراتي من جنود الأرض
منقراتي كل دقه بفرض
اطلب غنايا زي أب ضناه
القدس لاحت في الطريق حضناه
يا رب علمني العطش والجوع
واجعل لعيني دموع
واجعل لقلبي ضلوع
واجعلني صوت الشهيد
في النبض والتنهيد
شريان فلسطيني شجر مزروع
في الأرض جدر وفي الليالي فروع
يسمعني خال في كل بلده وعم
جرح المآجئ عمره ما يتلمّ
تغنى الليالي ولا يبور الدم
ولا طيارات الأمريكان تمنع النور من المصنع
ولا كل ريف تحت السما يسمع طير الحمام يسجع
ولا ابن إنسان الأمل يرضع
ولا ليل شجاع يولد نهار أشجع
ولا بدّ يوم أرجع
ويعدّ في كل العرب حبلي
المشي طاب لي
والدقّ على طبلي
ناس كانوا قبلي
قالوا في الأمثال
الرجل تدبّ مطرح ما تحب
وأنا صنعت مسحراتي في البلد جوّال
حبيت ودبيت كما العاشق ليالي طوال
وكل شبر وحتّه من بلدي
حتّه من كبدي
حتّه من موال
شيليني يا دنيا
قبل النور وحطيني
بالراحة بالقوة
في الريح الفلسطيني
خلّيني قبل الصباح
أعرف صلاح ديني
اصحى يا نايم
وحّد الدايم
وقول نويت
بكره إن حييت
الشهر صايم
والفجر قايم
اصحى يا نايم
وحّد الرزّاق
رمضان كريم

مرايا الشمس

نازك الملائكة ـ العراق

نامي على أهداب عيني يا خريطتها
ورفّي في دمائي
إني نذرتُ لكي أكسّر قيدها زمني
نزّيف دمي غنّائي
أفاقها سأحطها بالورد،
أغرس عند بيت المقدس الدامي قرنفلةً كبيرة
وأحملها في عرض بحر من زهور الماء
والدفّلى جزيرة
واشك عند حدود عكا زنبقة
حرّى الغلالة، مغدقة
واللذّ أنفجها برقة وردة جوريّة
حمراء غذّتها دماء شهيدة عربية
وجنين أعطيها شقائق غضة شفقية
ولد غزة أختار سوسنة نضيرة
ولكفر قاسم ألف ليلكة أبعثرها وأجدلها ضفيرة
وعلى مشارف أرض بيسان سأزرع ياسمينة
وبنفسجات عند حيفا عند يافا
عند نابلس الطعينة
ولدى مدينة طولكرم نرجسة
أضحي بها ذكرى أضاح كالمرايا مشمسة
أهداب عيني يا خريطتها، هنا، نامي عليها
إنني ما بين بَيَاراتها الثكلى سجينة
أمطرتها ورداً، وعاشت خلف أسوار انفعالاتي
مدائنها الجميلات الحزينة
حتى زرعت فؤاديَ الخابي الشموع
على خريطتها مدينة
لا لا، دعي الأزهار يا كفي، خريطتها
سأنقطها بدمعي
سأخط بالعبرات كل حدود ناصرتي
وبالشهقات أبني بئر سبعي
سأحيط أسوار الجليل بخضرة ريَّانة
تنثال من ألمي ورفضي
وسأمنح اللطرون عصف رياح أحزاني،
أسيِّجها بنبضي
والطفلة السمراء رام الله أزقُّها على مهدٍ
يرطّب حرَّه ثلج الدموع
والحزن حول غطائه الوردي أشرعةً
مواويلَ،
شموع
وسأزرع القلب الكئيب شجيرة،
قمراً يُصَوِّي في دُجاه كل أرضي
من الشمال إلى الجنوب قُرى مغَمَّسة بدمعي
وورود أحزاني تعشش في مدائنها
تعطر كل زاوية وضلع
وبأدمعي حددتُ أرصفة الشوارع في الخليل
ورشفت من حزني جراراً من عبير
وارتويتُ من العويل
لا لا، برئتُ من الحدود الدامعة
وجرّعت آن ترنو إليّ خريطتي من هذه المدن الحَزَانى
إني سأشعل في رباها ثورة غضبا
دخانا
ولَدى القُرى السود العيون الضارعة
سأقيم من وهج القنابل مهرجانا
ويضوع عطر الموت، يسكر من تموُّجِه عِدانا
لا ورديَ البض الملون سوف يشفي وخزة الذكرى
ولا عبراتي الحرّى الغزارْ
لا بل أسوِّر بالخناجر والمُدى تلك الديار
وأنيمها في غابة مسنونة الأشجار
تجرح بالسكاكين الحداد اللاسعة
بالعنف تنتزع المروج الضائعة
سأطير، أغرس خنجراً في باب عكا
وأقيم حول الدفء أرصفةَ الصواعق
أزرع الأسوار شوكا
وأدك تل أبيب دكّا
سأحيط غزّة بالقذائف، سوف أبذر
حول يافا حقل الغام ونارْ
في الليل أشعله حرائقَ جُلّنارْ
وسأفرش المدن الوديعة بالصواريخ المحبة والمدافع
الله أكبر يا عرائسُ!
يا قناطرْ!
يا شوارعْ
إني سأبذر فيكِ أسلحتي وأنتظر الحصادْ
وسأوقظ الزَّنوّات فيك على براكين التحدّي والعنادْ
قسماً وأرفض أن أبلّل أغنياتي بالمدامع

سيف فليشهر

سعيد عقل ـ لبنان

سيفٌ فَلَيْشهَرِ في الدنيا
ولْتَضْدَعْ أبوابٌ تَصدعْ
الآنَ الآنَ وَلِيسَ غداً
أجراسُ العَودةِ فَلْتَقرَعْ

أنا لا أنساكِ فلسطينُ
ويشدُّ بشدٍّ بي البُعدُ
أنا في أقبائِكِ نِسريْنُ
أنا زهرُ الشوك أنا الوردُ
سَنَدُكُّ نُدُكَّ الأسوارا
نُشتَلّهمُ ذاكَ الغار
ونعيدُ إلى الدارِ الدارا
نمحو بالنارِ النّارْ
فَلْتَضْدَعْ، فَلْتَضْدَعْ
أبوابٌ أجراسٌ تُقْرَعْ
قد جُنَّ دَمُ الأحرارْ

يا فلسطينية

أحمد فؤاد نجم ـ مصر

يا فلسطينيه
والبندقاني رماكو
بالصهيونيه
تقتل حمامكو في حداكو
يا فلسطينيه وأنا بدي أسافر حداكو
ناري في إيديه
وإيديه تنزّل معاكو
على راس الحيه
وتموت شريعة هولاكو
يا فلسطينيه
والغربة طالت كفايه
والصحرا أنّت م اللاجئين والضحايا
والأرض حنّت للفلاحين والسقايه
والثورة غايه
والنصر أول خطاكو
يا فلسطينيه
والثورة هي الأكيده
بالبندقية نفرض حياتنا الجديده
والسكة مهما طالت وبانت بعيده
مدّ الخطاوي
هوّه اللي يسعف معاكو
يا فلسطينيه
فبتنام عليكو البشاره
بلنصره طالعه
من تحت ميت ألف غاره
والشمعة والعه
والأمريكان بالخساره
راجعين حيارى
عقبال ما يحصل معاكو

المسيح

عبد الرحمن الأبنودي ـ مصر

«يا كلمتي لفّي ولفّي الدنيا طولها
وعرضها/ وفتّحي عيون البشر/ للّي حصل على أرضها/ على أرضها طبع المسيح قدمه/ على أرضها نزف المسيح ألمه/ في القدس في طريق الآلام/ وفي الخليل رنّت تراتيل الكنايس في الخلا/ وصبح الوجود إنجيل على أرضها/ تفضل تضيع فيك الحقوق لامتى يا طريق الآلام/ وينطفي النور في الضمير وتنطفي نجوم السلام/ ولامتى يمشي فيك جريح/ ولامتى فيك يفضل يصيح/ مسيح وراء مسيح وراء مسيح/ على أرضها/ تاج الشوك فوق جبينه/ وفوق كتفه الصليب/ دلوقتي يا قدس ابنك/ زي المسيح غريب/ تاج الشوك فوق جبينه/ وفوق كتفه الصليب/ خانوه خانوه نفس اليهود/ وابنك يا قدس لازم/ زي المسيح يعود/ على أرضها».

هنا باقون

توفيق زياد ـ فلسطين

كانّنا عشرون مستحيل
في اللد، والرملة، والجليل
هنا .. على صدوركم، باقون كالجدار
وفي حلوقكم
كقطعة الزجاج، كالصبار
وفي عيونكم
زوبعة من نار
هنا... على صدوركم، باقون كالجدار
ننظف الصحون في الحانات
ونملأ الكؤوس للسادات
ونمسح البلاط في المطابخ السوداء
حتى نسل لقمة الصغار
من بين أنيابكم الزرقاء
هنا على صدوركم باقون، كالجدار
نجوع... نعرى... نتحدى
ننشد الأشعار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الأطفال... جيلاً ثائراً.. وراء جيل
كانّنا عشرون مستحيل
في اللد، والرملة، والجليل
إذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب إن جعنا... ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخل.. لا نبخل.. لا نبخل
هنا.. لنا ماضٍ.. وحاضر.. ومستقبل
كانّنا عشرون مستحيل
في اللد، والرملة، والجليل
يا جذرنا الحي تشبث
واضربي في القاع يا أصول
أفضل أن يراجع المضطهد الحساب
من قبل أن ينفذ الدولاب
لكل فعل: ... اقرؤوا

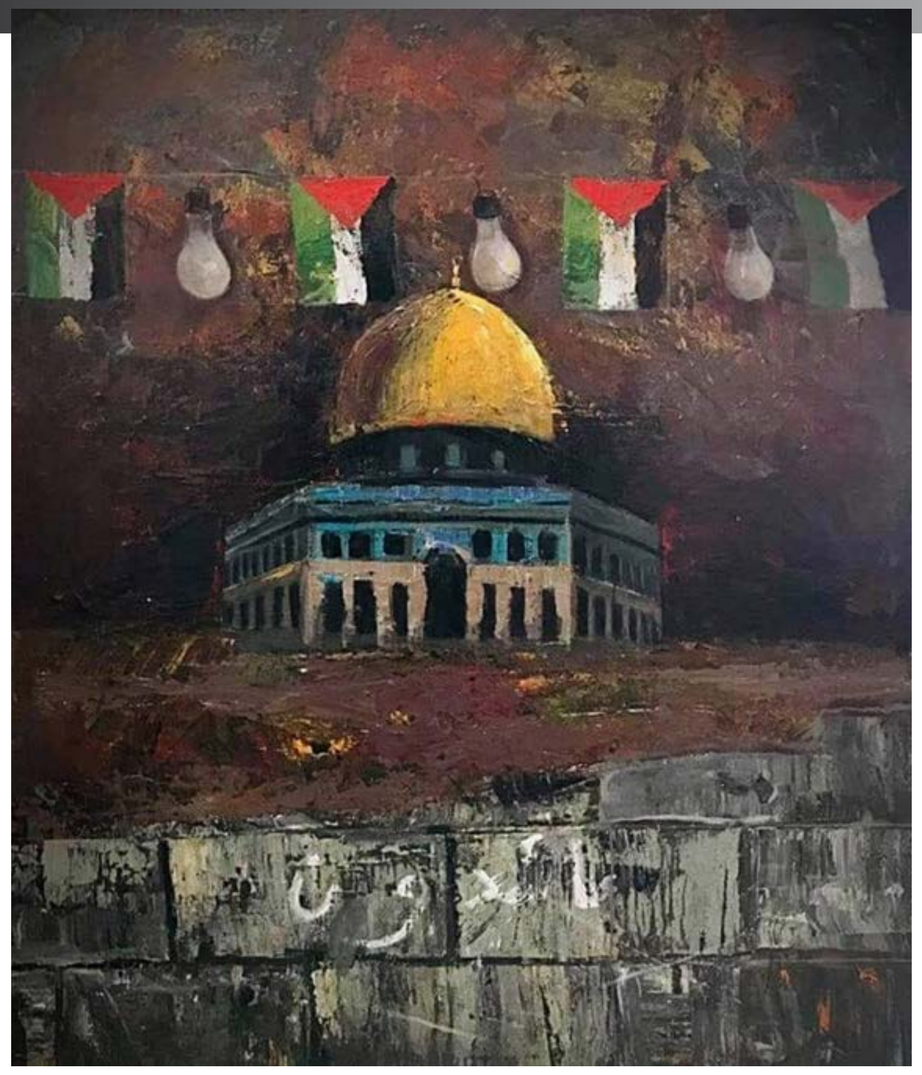

لوحة للفنان العراقي محمود شوبار

ما جاء في الكتاب.

عنقي على السكين

سميح القاسم ـ فلسطين

عنقي على السكين يا وطني
ولكني أقول لك: انتظرني
ويداي خلف الظهر يا وطني
مقيدتان
ولكني أغني
لك.. آه يا جرحي.. أغني
أنا لم أخنك.. فلا تخني
أنا لم أبعك.. فلا تبعني
وطن المزامير التعيسة والوجوه الضائعه
وطن الجذور الحاقده
وطن العواصف والصواعق والليالي الباردة
وطن القرى الأطلال والدم والبكاء
أأشد أزرك
أم تراك تشد يا مغدور أزري؟
وطن الأكاذيب القديمة والروى والأنبياء
أأكون سرك
أم تراك تكون يا مغدور سري؟
وطن الحقائب والمطارات الغريبة والموانئ
وطن الغضب
وطن اللهب
يا من يبوس يديك عبر دموعهم مليون لاجئ
وطن المذلة والأسى والكبرياء
أمنت بالحب الذي يعطي
ويفنى في العطاء..
ولذا
أقول لك انتظرني
عنقي على السكين، لكني أقول لك:
انتظرني !!

أصبح عندي الآن بندقية

نزار قباني ـ سوريا

أصبح عندي الآن بندقيه
إلى فلسطين خذوني معكم
إلى ربى حزينة كوجه المجدليه
إلى القباب الخضر والحجارة النديه
عشرين عاماً وأنا أبحث
عن أرض وعن هويه
أبحث عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاط بالأسلاك
ابحث عن طفولتي
وعن رفاق حارتي
عن كتبي .. عن صوري
عن كل ركن دافئ وكل مزهريه
إلى فلسطين خذوني معكم
يا أيها الرجال
أريد أن أعيش أو أموت كالرجال
أصبح عندي الآن بندقيه
قولوا... لمن يسأل عن قضيتي
بارودتي... صارت هي القضيه

أصبح عندي الآن بندقيه..
أصبحت في قائمة الثوار
أفترش الأشواك والغبار
والبس المنيه
أنا مع الثوار
أنا من الثوار
من يوم أن حملت بندقيتي
صارت فلسطين على أمتار
يا أيها الثوار في القدس
في الخليل في بيسان في الأغوار
في بيت لحم حيث كنتم أيها الأحرار
تقدموا
تقدموا
إلى فلسطين طريق واحد
يمر من فوهة بندقيه.

طوفان الاقصى

على صدوركم باقون... كالجدار

يوميات الحزن العادي

محمود درويش-فلسطين

هكذا ينام العالم. وهكذا يصحو. هو مدجج بالسلاح، وأنا مدجج بالقيود. القوي متحضر، والضعيف بربري. وليس التاريخ قاضياً. التاريخ موظف. ماذا كان الهنود الحمر سيقولون لو هزموا غزاتهم؟ والذين يتباهون بالحضارة والتمدن غالباً ما يكونون القتلة... القتلة. انظروا هذا الثلاثي: الأول [أمريكا] آباد شعباً في الماضي، ويبيد اليوم شعباً وتربة في جنوب شرق آسيا، ويفجر علامة تحضره الكبرى -القنبلة الذرية- في شوارع العالم... يطالبني بالخروج من حلبة الإنسانية، ومن الكرة الأرضية لأنني إرهابي. والثاني [أوروبا] ليس من الحكمة أن نذكره بماضيه. لقد أحرق عشرات الملايين من البشر باسم الحضارة والتمدن، والآن يتعانق القاتل والضحية وينجبان وليداً جديداً هو الثالث. فماذا ينتج عن زواج الإرهاب [إل الإرهاب! وجاء الثالث [إسرائيل] المدجج بالنوراة والسلاح، واقتلعني من جبالي وسهولي ودحرجني من الحضارة إلى الحضيض. هذا الثلاثي يطالبني بالخروج من الكرة الأرضية لأنني إرهابي. وماذا كان العالم يفعل؟ في ساعة متأخرة من الليل، يذهب إلى غرفة النوم وينام.

أيام

(رياض الصالح الحسين-سورية)

ماما
أما زلت تحتفظين ببارودة جدّي القديمة
بين بيت المؤونة وزريبة الحيوانات؟
أما زلت تسرّحين شعرك بأصابعك النحيلة
وتخبّرين لإخوتي فطائر الحكمة؟
أنا هنا يا أمي
أحتسي فلسطينَ صباحاً مع فنجان القهوة
وأطردُ عن جسدها البعوضَ والأكاذيب
أذهبُ معها إلى المدرسة
ونقرأ الصحفَ في المقهى
وحينما أكونُ حزيناً
تجلس بجانبي وتعدني بأشجار البرتقال
ماما..
امسحي دموعك بمنديل الجبل
ونظفي بارودة جدي بخرقة الأيام
فبعد قترةٍ ساعود إليك
وفي حقيبتي زجاجةُ عطرٍ
وقليلٌ من الرصاص.

رميت المنجل يا شيرين

زكريا محمد-فلسطين

رميت منجلي على الأرض، تاركاً للشمس
أن تشوي بلّوطها في التنّور وحدها،
وأخذت غفوة قصيرة تحت الصخرة.
المنجل ذنب كبير يا شيرين. والقمح ذنب
أكبر منه، والشمس ذنب ثالث أكبر منهما
معاً. كل ما هو جميل ذنب. كل ما هو
أصيل ذنب. لذا، فالحياة سلسلة ذنوب.
وكل مقطوعة كتبتها قطعة من نشيد
اعتذار طويل عن هذه الذنوب. اعتذار عن
ذنوب ارتكبتها وأخرى لم أرتكبها. ففي
الحساب الأخير، أنت مسؤول عن ذنبك
وذنب غيرك. أنت مسؤول عن كفرك وكفر
غيرك. ليس هناك جزيرة معزولة يسكن
فيها البريئون وغير المذنبين. ليس هناك
زند لم يقدح ناره. لذا أتطهّر بالنوم يا
شيرين. آخذ غفوة تحت الصخرة، وغفوة
مثلها تحت شجرة الخروب. النوم عبادة
يا شيرين، والصحو كفر.
وهناك يمامة تصيح على الغصن دوماً،
ولا أحد يدري إن كانت تغني أو تبكي:

«أبكتْ تلك الحمامة أم غنّتْ على فرع
غصنها المُباد؟». وأريد أن أعرف من هي
اليمامة التي تبكي على الغصن هنا يا
شيرين؟ أهي أنت أم أنا؟ وأريد أن أعرف
من هو الذي يصرخ في المقطوعة يا
شيرين؟ أنت أم أنا؟
رميت المنجل يا شيرين. قطعت الحبل
بيني وبينك كي أعرف من أنا، وكي
يتّضح من هو المذنب فينا، ومن هو
كفّارة الذنوب.

عبدالله الإرهابي

مظفر النواب-العراق

الليل وعبدالله آقارب
العرق البارد والنار وحزن الأيام
وعبدالله آقارب
يفهم في اللج
وأفضل من يصنع مجذافين ولا يملك
قارب
يدفع جفنيه يقاتل لولا الصف البطلي
يزيح الجدران
يصاهر نار الأيام
أحبك يا عبدالله لنفسك غاضب
وعلى نفسك غاضب
رشاشك يعقد قمته منفرداً ونعالك في
قمتهم
اصفعهم عبدالله بأرض نعالك
يخرج تاريخ عقاربه
أن تسحب سحاب السروال عليهم
نزلت للأرض سراويلهمُ
وقرار يفتح فخذيه
وجلسات مغلقة وعجائب
افتح عبدالله مسدسك الحربي
افتتح الجلسة فيهم أعداء وآقارب
أن تكن الطعم.. فأنت السارة قد علقت
لولا.. لعنت لولا
تملك أسلحة الأرض وتسأل كيف تحارب
يا عبدالله بساعات الضيق
تحولت الدبابات أرانب
فتلت أسلحة الجيران شواربها ليلاً
وصباحاً
حلقت وتصابت
وغدى الميثاق القومي بدون شوارب
وصواريخ الفرجة ضجت
وأتمت يا عبدالله مهمتها
ضمن مهمات صواريخ القوم مقالب

أصحوت أخيراً يا عبدالله
أصحوت أخيراً
أصحوت
أوقد حزنك..
فرشاة الأسنان..
زكامك..
قهوتك المرة والمرأة والمرآة
تطلع في وجهك لا تتذكر
مثلك لا يتذكر.. لا وقت له للذكرى
وإلى صدغك تتجه الحرب وتلتهم
الجرافات صحون الرز
تغطيها راحات الأطفال المبتورة
دهشتهم صرخات الليل
أتم الصمت العربي وليمتنا الكبرى
سقطت لمة رز من فمهم فيها الأسنان
تدحرجت اللقمة حتى قلبك في الغربة
وابتسمت
أقسم عبدالله بها تبدأ توأ بالثأر
وكل دقيقة تأخير مذبحة أخرى
أسند كوعك للكوة يا عبدالله..
اسند كوعك للكوة
مد الرشاشة في الفجر الشاحب
لا تتأخر عداد القلب وعداد القنبلة
الموقوتة متفقان
ووعي السبابة قد بلغ النار
وأيام التاريخ تقبّل راحتك البسرى
ضع مترس الشك أمام ثمالة أيامك
والألم الليلي
وخذ حصة حزن في قلبك لا تسمع إلا
دمك الناري
جنونك.. زمجرة الجرافات
صراخ قتيل دون بدين
تفتش عن طفليها
اغتصبوا زهرتك الأولى..
ودعها ميتة يا عبدالله مجرد ذكرى
حصدوا الورد الخائف في خديها
اغتصبوا أمك أيضاً من كلمات الله على
شفتيها
من خمسين من السنوات دموعاً للأرض
بعينيها
هدموا الدار
وإذاعات العرب الأشراف تبول على النار
أعلنت التعبئة الجنسية يا عبدالله
درابكهم
حزنزا هزاً
رهزوا رهزاً ومضاجعة
وتمنوا أنهمْ كانوا بمخيمك الدامي
يشتركون بفض امرأة.. أكل صبي
عرب.. عرب.. عرب جداً أولاد الكلبْ

وأول ما تعرض خصيتهم في نشرات
الأخبار أي براكين خامدة في نظراتك
في زاوية الغرفة
أية قافلة برحت في الصمت الهائل
وجهك.. ما هذا الصمت العبدالله
مقدمة الحقد الأعمى العاجل
يا عبدالله القادر
يا عبدالله المتمكن فعلاً
حدق في الشارع مرتاباً
فعدول في الشارع
أخبار الحرب جراء تتقاذف في الشارع
رجل الأمن التعبيي يهرول في الشارع
جمهور لا يعرف يأكل
لا يعرف ينكح
لا يعرف في الشارع ماذا في الشارع
سكينك يا عبدالله الساكن في البريات
العربية
منفياً عن نفسك.. زوجك.. تبغك.. جرحك..
حزن شوارعنا
سكينك.. احذر أن تتدجن للمطبخ
يا عبدالله اشحذها
نفذها تنفيذاً نفذها
أصبح ممنوعاً أن تستشهد
أو تدفع جيبك عند حدود الجيران
وتستشهد أيهما إسرائيل
أيهما إسرائيل
الخبز عليه علامة إسرائيل
حبات الرز عليها إسرائيل
المسجد والخمارة والصندوق القومي
لتحرير القدس
بداخله إسرائيل
وأنت إذا لم تفهم.. لم تتعلم يا عبدالله
تمتصك إسرائيل
ناعسة بيروت الغربية في كف المطر
الليلي
وتزهر بين الإسفلت وحزنك والصمت
ولغم يحلم أحلاماً طيبة
وجريح يصرخ:
- بيسان..
إلى بيسان خذوني
يا عاشقة يا عبدالله عيوني
لا تلبس أغنية شالاً أسود في العرس
وإيقاعاً مسرف
ولدينا عمل قبل الإفطار جليل كالله
سنخرب..
إن أطعمت حمامات العالم من قلبك انت
مخرب
أنت رصاص.. أنت رصاص
أو أنت ملأت جيوبك حلوى

تتحول يا عبدالله رصاص
أو غنيت لزوجك أغنية الليل
يكون اللحن كتفريغ المخزن في الليل
وتسعل يا عبدالله دخاناً
وتنام براحتها عشقاً وخلاص
إن درت العالم تكتب أشعار السلم
على التأشيرة.. تذكرة الرحلة..
أبواب مطارات البرد
حافلة الليل
فوجهك أنت ومنذ ولدت تسمى عبدالله
الإرهابي
وبناتك عبدالله العربي الإرهابي
وصوتك عبدالله الإرهابي
وموتك..
بعض الناس خطايا فادحة يا عبدالله
وبعض الناس قصاص
أنت قصاص
الحزن يجيء مع الريح وماء الحنفيات
وضوضاء الطرقات
جنود الدبابات يبولون على وجه بلادي
وجهي في الأرض ووجهك في الأرض
اخرس لا تتنفس.. لا تخرج للشارع..
لا تتفرس
ممنوع أن تصرخ في بطنك
آه يا عبدالله الا فاصرخ
اصرخ يا عبدالله
انفخ في أسئلة الناس.. ملابسهم..
ساعات أياديهم
صمتهم الإلزامي البارد
اقتلهم بوجودك.. إلحاحك.. حبك
آه من حبك يا عبدالله حزين أخرس
نتحداهم.. ننفذ من بؤبؤهم
نمسح وجه الأحجار بخلدة
يا خلدة يا قلعتنا البحرية لا يفتحها إلا
العشق
وريح الفجر وصوت النورس
تترك باقات الأعذار براحة كهل ترتاح
بحضن الأنقاض
وكوفيات فدائيين عرفناهم وعشقناهم
أو لا نعرفهم وعشقناهم
يا أحباب تاخرنا
يا صرخات الأطفال بخلدة والبربير
تأخرنا
يا نادل مقهى أسلحة الليل تاخرنا جداً
وامرأة ما زالت تكنس شرفتها
وتلم شظايا قنبلة
انهم يا عبدالله يرون حزوز الأيام
بوجهك
كالرمانات اليدوية تنسف كل المؤتمرات
سكتتك الملغومة تسحب عن أوجههم يا
عبدالله
سراويل التصريحات
نظرتك الحربية جمرة
زيتونة ليل تؤقد مصباحاً ذرياً
لا يا عبدالله ولا.. وتكاد تضيء
ولو لم تكُ يا عبدالله حزوز في وجهك
كان لوجهك إرهاب مسدس
يا عبدالله.. الحي الله..
جميل أنت.. جميل بتراب الحرب
ووجهك فوق وجوه الشهداء مظلة ورد
وبوجه الأعداء مفازة صبير لا حد لها
ومسدس
اثبت عبدالله.. تحجّر
ليس لربك أن يأمر إلا بثبات القلعة
والنار
ولدينا عمل يا عبدالله
مسدس قبل الإفطار
نقرأ آخر برقيات الليل على الشارع
نتأكد أن منظمة التحرير انتصرت
رفضت رفضاً قاطع
نتوثق أن لنا كالناس وجوهاً
وذكوراً ما حجزت للدولة يا عبدالله
وخمس أصابع
ونحب ونستشهد بدون عرائض أو أعذار
نتأكد عشنا يوماً في الوطن العربي ولم
نخص
غريب جداً
خطأ لابد خصينا
نتأكد ما زلنا نطعم من شفة الحب
عصافير الدار
ونحاول تغيير الدنيا
ولدينا عمل قبل الإفطار

لوحة للفنان الفلسطيني سليمان منصور

«أم ترضع طفلها» لسليمان منصور (زيت على كانفاس ـ 1976)

تأكد خبزك
تأكد كوز الماء
تأكد أن شقوق الشفة السفلى لم تتغير
وجهتها
وصراحتها
وأغانيها
سبابتك الإرهابية ليس تخاف التهمة
بالإرهاب
وتعرف كيف تذل عيون الذل
وتسحب كالعشق مسدسها
وتعد إلى القدس لياليها
يا متهماً بالشعر العربي
أليس لهذي التهمة يا عبدالله مغازيها
إنْ سلمت سلاحك سافل
و أنا سافل
وعشاء الليل البارد
والماء وفجر اليوم القادم سافل
ما يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة..
بالإرهاب
بقطع اللوز الصهيونية
بعد مخيم شاتيلا يا عبدالله
مسدسك القانون الدولي
أقم في مخزنه عبدالله مخيمك الثوري
وحزنك والشعر وما تملك من أشياء
وتجذر فيه.. فإن الصف الأول لم يتجذر
فاتته الأيام
وخانته لياقته الثورية
برد ليلاً ما كان بدين نهاراً
حاول أن يلقى الشعب بجيب النفط
وكان هنا رأس الداء
قسماً عبدالله بقبرين جماعيين بصبرة
بيروت تنجسها
إن وضعت ملك المغرب
في إحدى قدميها الطاهرتين حذاء
وستنهض من بين الأنقاض صنوبرة
الحزن
وتغمر صبرة بالأقياء
ويساعات خروجك بسلاحك للتنظيف
وتشهد أنك قاتلت الغارات
وقاتلت البحر
وقاتلت طوابير الدبابات
وقاتلت خيانات الدبابات الأخرى
وصمدت صمود الأنواء
رشاشك كان وكالة أنباء الثوار
إذا كذبت فيك وكالات الأنباء
خذ جورب سيدة ذبحت
احفظه بجيبك
ذاك صراطك يا عبدالله
في الليل تسلل..
هنالك جندي محتل
اخنقه بهذا الجورب يا عبدالله
لعلك تشفي واحد بالألف من الحقد
بقلبي
هذا الجورب سكين..
حذاء شهيد سكين
فرشاة حلاقته سكين..
حالة عشق لا تتكرر يا عبدالله فلسطين
إن قدمت لهم ماء سألوك بحب إن ذقت
مياه فلسطين
أو أكلوا سموا بسم الله وحب فلسطين
أو قتلوا تحت الأرض
يعودون إلى حضن فلسطين
أو جاؤوا باب الجنة
يلقى الله بأيديهم قبضة طين منها
يتمنى أن يستبدل جنته يا عبدالله بهذا
الطين

تتربع للأفطار وزوجك والأطفال وكأس
الشاي
بدون شهية
وقروع في أمعائك مزمنة
عدد الأنظمة العربية
وتحرك سبابتك المهمومة في فم طفلك
تسمع لذغته الناعمة الوردية
تبحث عن أول سن تجرح من اجل قضية
العضة دار
ويعضك عضات ناعمة.. يضحك في
وجهك
يفهم أنك يا عبدالله
تدربه الدرس الأول للثوار..
جميع الثوار
ويحدق في نار الشيب بوجهك

يفرش راحته في حجرك
ترقاوا دمعك خافة أن يثقب راحته
وتهمهم أفراحاً مبهمة
وتقبل راحته وتقول لأخذ الثار
وتدس وجوهك فيهم
شفاهك
الاف عيونك
تمسكه من كتفيه الناعمتين
قتلنا أحدث أسلحة الموت بشهرين
قاتلنا الصمت العربي
شربنا البالوعات وماء البحر
دفنا القتلى بين الغارة والغارة في قبر
مشترك
لا نتراجع يا ولدي لا نتنازل لا نفرق
الطيران يهاجم في الفقرات
شرايين القلب.. البرج.. السلم..
عبدالناصر.. دوار الكولا.. مستشفى
البربير..
قبور الموتى.. جثث الموتى تخرج غاضبة..
تقتل ثانية
تصعد في الليل كما الإفراح النارية
أبيض أحمر أحمر قان أزرق
نحن هنا لن نتزحزح عن هذا الخندق
الطيران يهاجم غفوة طفل يحلم
بالطيارات العربية
يرفع كفيه يلوح للطيارين
يحملق في فجوة صاروخ في السقف
يرى طائرة سوداء
فلم يصل الطيران العربي إذاً
لم يتجاوز أحد الطيارين أناقته وملابسه
«ماكو» أوامر يا عبدالله
فلا بغداد بغداد ولا جُلّق في جُلّق
ولكن قسماً بالحزن وصور وصيدا
لن نتزحزح عن هذا الخندق
طلبوا شرف الكوفية من بيروت
أبَتْ إلا أن تليس كوفيته وتقاتل
وتقاسمه الخبزة والخندق والخذلان
العربي
ويمسحها القصف مساء
تتحامل في الصبح على قدميها
تمسح تنورتها وتقول له
ليس على الصمت العربي المزري يا
عبدالله
فالقصف توقف ثانيتين
ولا تابه.. سنقاتل يعني سنقاتل
تأكل من كتفيها بيروت
ولا تسحب شبراً من تحت مقاتل
تستشهد بيروت على أبواب منازلها
ومعاذ الله تسلم عفتها كالصمت العربي
ببيروت رجال.. رجل بجحافل
يمرق أنظر بين الدبابة والدبابة والألغام
فدائي
عضلات الزند جميع الرجف الحربي
وبيتان من العشق

وسيف ومكارم
أعلن سوق الجزارين ضيافته
نطق المولودون من الخلف أخيراً
نشكركم باسم الشهداء
نشكركم بالسيقان المبتورة شكراً لا حد
له
نشكر علاناً وفلاناً وفلينا والفلن الثاني
وفهد
بالذات فهد
ما قصرتم أبداً
نشكر همة أعضائكم الجنسية
في صد هجوم الجيش الإسرائيلي
وإلقاء الصمت على المغتصبات
نشكركم يا فضلات
نشكركم باقون هنا
قرب مذابحنا وخرائبنا والشهداء نقاوم
بيروت على قدم واحدة ستقاوم
أتذكر يا عبدالله بانك في بعض الليل
ضغطت على راحتها الوردية
أكثر مما الحب
وأكثر مما الحزن ومما أنت
أحبتك كاستادة حب
تعرف كيف تصفف باقات الزهر
وساعات الليل
وطلقات مسدسك الإرهابي
أهبنت يوم رحلت
خلف العكار بكت
خلف سياج الحزن الميناثي بكت
عبدالله رجتك.. دع الأوباش وما نسجوه
رجتك كثيراً لا ترحل
ورجتك بخيط الدمع تذكر أرنون
تذكره ولا ترحل
أرسلت دموع مسدسك الحربي
سلاماً أرنون الأبدي
سلاماً للصمت وللعتمات وللأحجار
سلاماً ما هتف العمر وغنت ساعات
الليل
لأحباب سكنوا قمتك الشماء بروقاً
ورعوداً
وزلازل
وتلوح مثل حقول التفاح
ويهبهم الصمت على وجهك والطرقات
وأصوات صبايا النبطية
والحزن الشبعي القدري
إلى أين تسافر يا عبدالله إلى أين تحاول
يا قافلة النار إلى أين
وأنت سلاح وقلاع حمر عابسة
وجروح سوف يعمقها البعد
ويعجز فيها الطب وصبرك
يا من جربت جميع الأدوية العربية
جرب يا عبدالله دواء النار
أعظم ما في الطب العصري دواء النار
وحذار يا عبدالله حذار
نصف دواء النار لئيم قاتل

يا عبد اللعنة والحزن..
وزرع المستقبل في اللحن
وزاوية في قلبك فنجان القهوة
ما أروع هذا الفجر الحربي
ورائحة البن وضيعتك المغمورة
بالفيء الهادئ والشوق الفردي
لا تخسر ثانيتين من الوقت الطيب
في صب اللعنات على الحكام
فليس يساوي الواحد منهم ثانيتين
من الحزن الجدي
ولا البسط الجدي
فكر أي طريق تسلك من خلف خيانات
الواقع
تبلغ بيروت الغربية
ارهن خاتم عرسك..
حلي صغارك.. راتبك الشهري
وقد لا يكفي ذلك تذكرة
في القلب لديك عناوين المقهورين
وأولاد الدولة يا عبدالله يمدون يد العون
ويرجونك أن تحمل مكتوبين لصيدا
والنبطية
ولديك عناوين منظمة التحرير
وعنوان الله القهار
ثم تحط بثم مطار
وتفتش تفتيشاً ذاتياً
وتبلغ يا عبدالله بأوسع بنط عربي
أنك موقوف منذ تقرر وقف النار
وتحاول أن تفهمهم..
لست نظام مواجهة كذاب
لست رئيساً عربياً
لست خبيراً روسياً
اسمك عبدالله و عبدالله أبو إرهاب
ليس هنالك إلا الدم.. سياج الميناء
الساخن
ووجهك والقتلة
ليس الإنسان الآن بلا أذن
يعرضك الباعة للبحر وللملح
ومن بين يد الشعب وقبلته يسرقك
السفلة
وعلى مضض يا عبدالله
يقبلك المنقرضون لتصبح منقرضاً
ادفعهم يا عبدالله
طهر وجهك من رؤيتهم
كيف يقبل مرحاض إعصار
أحد باع طريق الزعتر
باع الحزن
ودس حديد مدسسك الحربي فلم يقدر
حرق الفولاذ الأحمر كفيه وسمعته
ووقاحة عينيه
وسوف تطارده أنت
مطاردة الأقدار
شرعوا يعترفون بقاتلهم وكأن جراحك
أعذار
كذا فيهم يا عبدالله

فأنت الحي الباقي القهار
أُقتل دونك.. أفديك..
ولكني أتمنى أن تقتل مرفوع الهامة
لم يتزحزح فيك قرار
النار قرار منك وليس قرار فيك
فأنت النار وأنت قرار النار
لملم شفتيك القاهرتين وقهر الليل
وأول أيام البعد وعد في أول بارقة
فالموسم للبرق
وللزخ المتواصل والزعتر ينمو
وصفيح مخيمك الساكن ينمو
وعصابات الليل الثورية تنمو
وحديقة حزنك في باب الدار امتلأت
بالصبار
ماذا سيضبّغك المنحطون
سوى دائرة الأمن وحانة ليل..
ورصيف
ومراجعة الهجرة ليل نهار
إن كان تقرر أين استشهادك ليس
بطاوعني قلبي والله
أقول استشهد
لكن والله استشهد
فهناك يمنون عليك المشية في الشارع
تمسك الشرطة أن لكفك خمس أصابع
ولكي تتذكر وجه شهيد تحتاج موافقة
تحمل خمسة أختام وطوابع
في قلبي شيء أجهله
يفهم أنك باقٍ معنا
يفهم أنك باقٍ بين مقابرها وخرائبها
والمستقبل
تغسل وجهك بالريح الساخن
وترقب أطفالك في الماء الآسن
قد نشروا أجنحة الضحك
وطاروا بين حجارات البيت عصافير
سمراء
وبباقة شوق تذهب بين ثواني القصف
تزور رفيقاً في البرير
يرجى أن تشفى ساق باقية تحمله لمثلثه
النّاري بخلدة
فالقدس هناك
وطعم النعناع اليافي هناك
وبيارته الخضراء
في قلبي شيء.. فرح أعرفه
أنك باقٍ معنا في السراء وفي الضراء
أحببناك تشاجرنا
غنيناك
تصرفك الخاطئ أحياناً
وتصرفك الجيد دوماً
ألقيت شتائمك المقبولة يا عبدالله علينا
لم تبخل
أرسلت مكاتيب العشق إلينا
تتحدث عن متراس وجليل أعلى
وضرورة مسح التاريخ من الأنظمة
السوداء
كنا نغضب وأنت تهادنهم
وتعامل قلة حس وحياء فيهم بحياء
تبكي إن أنت رحلت
ونبكي أن جاءت بهمومك كل الطرقات
نحفر حزنك في حجر الليل
سنونوة الفت دور النبطية
نذكر اسمك..
نزرعه في أفق الزهر على الشرفات
نتشبث صوتك
نعرفه معرفة الجرح.. الفرح.. الحزن..
الصلوات
من صوتك تهرب حيات وحكومات
وعقارب
الليل و عبدالله آقارب
العرق الساخن والكمون وحزن الليل
و عبدالله آقارب
يفهم في اللج
واقدر من يرفع وجه الشمس
على مجذافيه ولا يملك قارب
يرفع عينيه فيرتفع الموج وتصبح كل
الأرض قضية
أشتم حريقاً في ورقي
اسمك نار في ورقي
وأضيء وإن تعبت طرقي
وأطيب إبريق الشاي على شعري فيك
لأنك يا عبدالله قضية
ولأنك يا عبدالله محارب
الله وعبدالله آقارب.

طوفان الأقصى

غزة: خيانة الفرح

عبد الرحيم الشيخ *

الفرح يأتي من الجنوب: هكذا علّمنا التاريخ، وهكذا تقول لنا الجغرافيا، وهكذا يُبرق لنا الأمل إن لم يطلع النور من الشرق، وإن لم يسقط المطر من الشمال، وإن لم يحتشد بحرنا من الغرب إلا بالموت، وإن لم تقل السماء كلمتها بعد وقد كسفت وحوشُ الحديد شمسها والقمر. لكن محمود درويش حذّرنا من قبل ألا نأمن الفرح، لأن خيانته قاسية. وإثر انتصار تشرين 1973، صرنا أكثر فهماً لتأنيبه النبيل: «علّموك أن تحذر الفرح، لأن خيانته قاسية، من أين يأتيك فجأة؟ هل تكون ولادة جديدة؟ هكذا يجب أن تكون. لا بد من ولادة. هل يصقلنا الموت؟ لا بد أن يصقلنا الفرح. ستبدأ المقاومة. ستبدأ المقاومة. انتهى كل شيء. وتبدأ المقاومة. وإذا جاءك الفرح، مرة أخرى، فلا تذكر خيانته السابقة. ادخل الفرح، وانفجر!».

نسينا خيانة الفرح، واستمرت المقاومة، ودخلنا الفرح وانفجرنا، وبعد تحرير الجنوب في أيار 2000، أكّد لنا: أنه «لم يفطن العرب إلى ما فيهم من عطش إلى الفرح كما يفطنون الآن. لقد اتخذ الأمل مكان العورة بكثافة الحجاب وبسيولة الخطاب. لكنّ قطرة من أرض الندى كانت كافية لانفتاح الشهية العاطفية، وربما الفكرية، على فرح جماعي وحَّد فيها وعي الهزيمة القابلة لأن تنكسر، ووعي المقاومة القادرة على أن تنتصر». قال لنا إنه «ليس هناك نصر نهائي ولا هزيمة نهائية، فهذان المفهومان يتقنان لعبة التناوب والاحترام المتبادل، لكي يكمل السيد التاريخ حركته اللانهائية». لم تنضج «إسرائيل» بهزيمتها، ولم ننضج نحن بنصرنا، ولم يكمل السيد التاريخ إلا جملته القديمة أن «المسيح لا يأتي فقط بوصفه المخلِّص، بل بوصفه هازم المسيح الدجال. والمؤرخ الذي سيملك موهبة إذكاء جذوة الأمل في الماضي هو فقط ذلك الذي يكون راسخ الاقتناع بأنه حتى الموتى لن يكونوا بمأمن من العدو إذا انتصر. وهذا العدو لم يكفَّ عن الانتصار». دخلنا في الفرح وانفجرنا وفجَّرنا بعد أربعة أشهر انتفاضة الأقصى في أيلول 2000، ذُبحنا من الوريد إلى الوريد، ولم يتوقف تصفيق العالم الحر لنا: من مقلاع جالوت الصغير في مواجهة دبابة داوود الكبرى إلى صعود مسيحنا مرةً أخرى إلى الجلجلة حاملاً صليبه وعار العرب: «شهيداً، شهيداً، شهيداً».

دخلنا الفرح وانفجرنا في تموز 2006، وفي الكانونين 2008-2009، وفي تشرين 2012، وثانيةً في تموز 2014. دخلنا الفرح وانفجرنا في كل أشهر الله الشمسية والقمرية في 2015، 2016، 2017، 2018، 2019، 2020، 2021، 2022... وفي السابع من تشرين الأول 2023، دخل الفرح إلى قلوبنا وانفجر! وانفجر معه العالم باكياً على «السيوف الحديدية» التي تثخن في لحمنا وقد تدحرجت أقلامنا في رماد المحرقة. والآن، لم يعد حتى في وسع موسى النبي، وعجله الذهبي، ولوح وصاياه، وعصاه، وأفعاه، وفي معيته مترجمه هارون البليغ... أن يحمل العالم على فقه قوله إن قومه المؤتمرين «باسم رب الجنود» أكملوا مائة وعشرين عاماً في قطع الماء والهواء والغذاء والدواء عن هاجر الجارية وإسماعيل الذبيح.

أما غزة التي «لا تتقن الخطابة» وحنجرتها «مسام جلدها التي تتكلّم عرقاً ودماً وحرائق»، فقد عادت لعادتها القديمة: «لا هو موت، ولا هو انتحار. ولكنه أسلوب غزة في إعلان جدارتها بالحياة». وأما إسبارطة الجديدة، فقد حشدت لها امبراطوريات الحديد ما يزيد عن حاجتها لإبادة هنود فلسطين الحمر الذين لم يعد في وسعهم تكرار مقولة شهيدهم الأول: «أحبوا أعداءكم»! ليس في مقدور الشعر أن يوقف البربرية، بل إن «كتابة الشعر بعد غزة هي فعل بربري»، وليس في مقدور الشعر أن يمنع شمشون، الذي نما شَعره، بعدما أيقظه الوحش الصهيوني من سباته العميق، ومنحه ما يشاء من أدوات الموت: «سيوف حديدية» بدل فك الحمار، وقاذفات نار سماوية بدل ذيول ثعالب الأرض، وأذرعة دمار من البر والبحر بدل ذراعين من لحم وعظم... ليس الآن، لكنه الأمس. ليس تكراراً، لأن الكوابيس تتعاقب ولا تتشابه:

ليس لأحد أن يُلقي تبعة وحشية الجلاد على الضحية، وليس لمجرم حرب أن يُشرِكَ ذوي ضحيته في إثم قتلها. وليسَ لأحد أن يلوم الضحية لأنها أخطأت مغادرة الهدف الذي أصابته القذيفة. ليس لأحد أن ينسى ليغفر. ليس لأحد أن يغفر لينسى. ليس لمن لم يكن شهيداً إلا الشهادة، وليس لمن لم يكن جانياً إلا ملاحقة الجناة. وليس لأحد، أن يدين المقاومة، أو أن يحذّر من انتصارها وهو يرجوه، أو يبتذل ذاته، مهما بلغ رأسماله السياسي وعلا كعب وثنه، بالخشية من محاذير الانتصار «حين تستبدلُ أصولية صِنوَها».

ليس لأحد أن يُعْمِلَ ذائقة النخبة المحرَجة في مكان المقاومة وميقاتها وكيفيتها، إذ ليست المقاومة سلعة ثقافية بتمويل مشترك، بل هي الثقافة العصية على التسليع لأنها انحياز الجميل للأجمل: إنها انحياز السماء لأيدي الشهداء التي ترفض الامتثال.. إنها انحياز عيون المؤمنين لدرب بيت الله الذي هدموه. إنها انحياز اللاجئ لمكانه الأول. إنها انحياز المقهورين في السجون لنور الصباح. إنها انحياز الجوعى لصوت أمعائهم. إنها انحياز الشجرة لأمها الأرض التي فارقتها، وأمنا. إنها انحياز المعنى لقلب قائله وبوصلة الوصول.

ليست إعادة ما قيل بالأمس، اليوم، إلا لتوكيد على أن الدم العربي دم واحد، وأن الدم الفلسطيني دم واحد، وأن عدو الفلسطينيين والعرب والإنسانية عدو واحد: هو الاحتلال الصهيوني الذي لا يرعى في أحد إلّاً ولا ذمة، إنه الوحش الذي عضّته النازية بالأمس فاكتسب سعارها وتوحُّش ليعضّ ضحيته الفلسطينية اليوم، وهو كل من تواطأ مع العدو سراً أو علانيةً. وليس في إعادة ما قيل بالأمس، اليوم، إلا للتوكيد على حق الفلسطينيين في المقاومة التي لا حدَّ لمديحها، ولا حدَّ للحض على ممارستها، ولا حدَّ لممارستها على كل الجبهات حتى وقف العدوان، ومحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة، وإحقاق الحق الفلسطيني. ولا حدَّ للجريمة التي تصرخ حتى السماء في غزة: لا حدَّ لفاشية العدو، ولا حدَّ لانتقائية الضمير الإنساني، ولا حدَّ لظلم إمبراطورية الحديد الأميركية والبريطانية، لا حدَّ لسواد البياض الغربي، ولا حدَّ لوحشية قلعة النار «الإسرائيلية»، ولا حدَّ لتواطؤ لسان العرب الرسمي، ولا حدَّ لبكم لسان الفلسطينيين الرسمي... فلا ينبغي أن يكون ثمة من حدٍّ، إذاً، لدعم المقاومة وحمايتها والدفاع عن الحق في ممارستها حتى نتمكن من ممارسة الحياة.

فطوبى للشهداء،
وطوبى لغزة، وطوبى لفلسطين،
وطوبى للحياة، وطوبى للمقاومة،
وطوبى للفرح، رغم الخيانة، ندخله وننفجر.

* القدس، فلسطين المحتلة

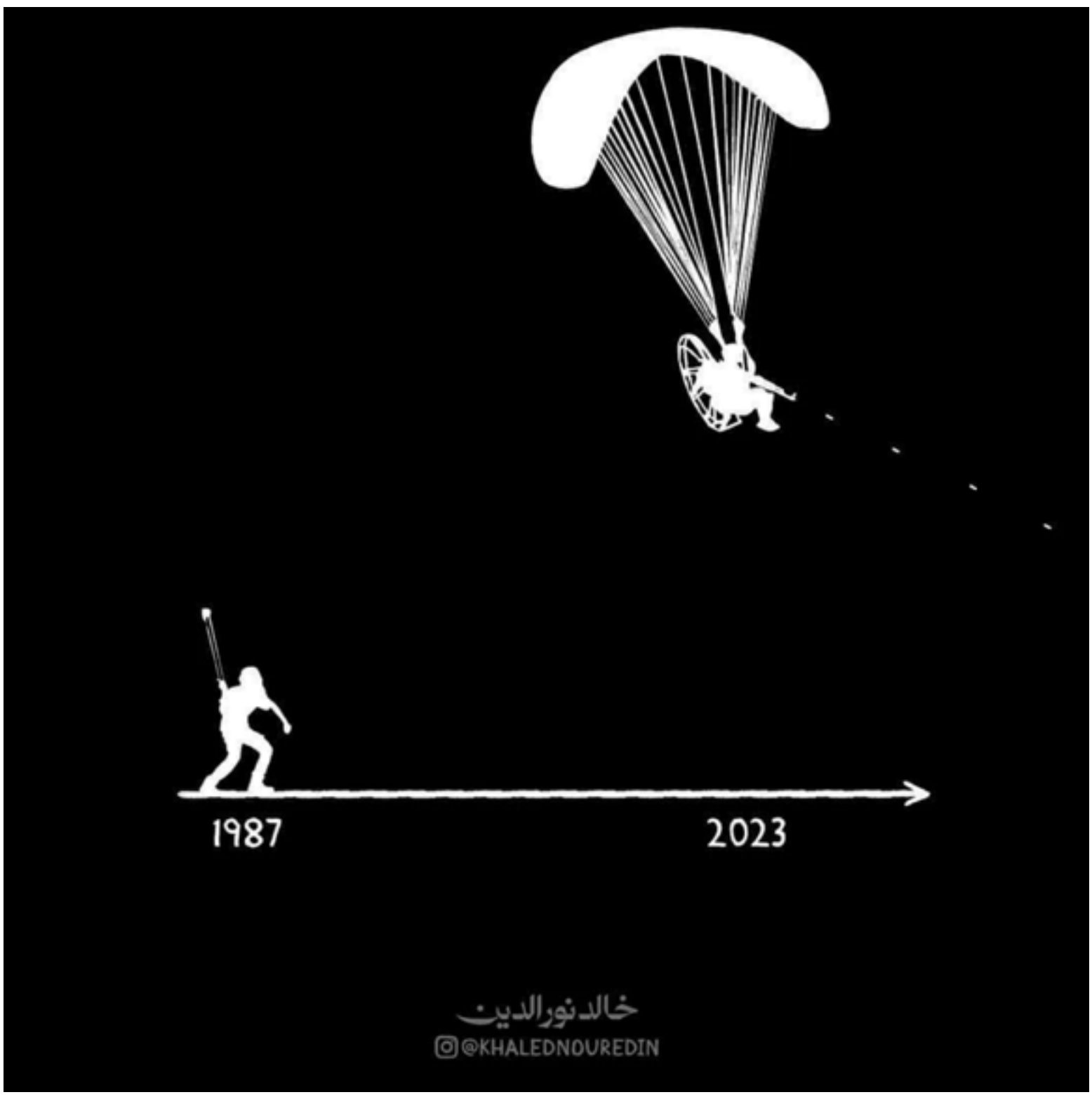

Samedi 14 Octobre 2023 no83
السبت 14 تشرين الأول 2023 العدد 83

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

بورصة التبليغات تهدد حق التقاضي [4]

وزير العدل لإبقاء الموقوفين في السّجون.. [5]

الاستنكار لا يكفي

[2 ـ 3]

(حنّ والويب)

فلسطين

على الغلاف

العدو الإسرائيلي يقتله ويدمّر ويحتل ويخطف ويهجّر ولا يحاسبه أحد

الاستنكار لا يكفي

(اسوشيتد برس)

عمر نشابة

عجّت وسائل الإعلام الدولية والمحلية ببيانات وتصريحات الاستنكار والشجب للجرائم والمجازر التي تمادى العدو بارتكابها في فلسطين ومصر ولبنان وغيرها من الدول العربية، ولا يزال يتمادى بارتكابها اليوم في غزّة المحاصرة. إذ يباشر الكيان الإسرائيلي في تنفيذ فصل

> **ألا يحق للفلسطينيين أن يناصرهم احد جدياً او ان هذا الامر حقّ للإسرائيليين المحتلين دون غيرهم؟**

من فصول الإبادة الجماعية في غزّة عبر القصف المركّز للمنشآت المدنية والمستشفيات والمدارس وسيارات الإسعاف والطواقم الطبية بالطائرات والسفن الحربية والمدفعية والدبابات. كما يباشر العدو بفرض حصار كامل على غزّة ويقطع المياه والكهرباء عن أهلها ويمنع أي مساعدة من الوصول إليهم ويهدد المصريين بقصف أي شاحنة مؤن قد يجرؤون على إرسالها إلى إخوتهم في غزّة.

أما منظمة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الدولية والهيئات الحقوقية والمحاكم الدولية ونقابات المحامين والجامعات في الدول «الحضارية» فلا يرى معظمها سوى القتلى «المدنيين الإسرائيليين» بينما هم في الحقيقة عسكريون ومستوطنون مسلّحون. ويطالب بعض هذه المنظمات الدولية بفتح تحقيق قضائي دولي بشأن المجازر وينادي بوجوب محاسبة المرتكبين. لكن هذه المطالبات والنداءات تبقى خجولة ومترددة مقابل الدعم الأميركي الأوروبي القوي لـ«إسرائيل» والحماية المطلقة لكل ما يقوم به جيش الاحتلال الإسرائيلي.

العالم الغربي كله يتحرك اليوم لدعم «إسرائيل» بالمال والسلاح، خصوصاً الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي. ولا تصدر عن هؤلاء مجرد بيانات استنكار وشجب لما تمكّنت كتائب عزّ الدين القسّام من تحقيقه في المستوطنات الإسرائيلية، بل تتوجّه أكبر حاملة طائرات حربية في العالم (بو إس إس جيرالد فورد) نحو شواطئ فلسطين المحتلة لنصرة الإسرائيليين، ويستعد الاتحاد الأوروبي لإرسال مليارات الدولارات من الدعم العسكري للكيان العبري وتنقل طائرات من كل أنحاء العالم متطوّعين للقتال إلى جانب العدو الإسرائيلي. أضف إلى ذلك، الحملة الإعلامية الضخمة التي أطلقها الأميركيون والأوروبيون للتحريض على قتل الفلسطينيين ولحماية «إسرائيل» من «الإرهاب» بينما تثبت كل الدلائل الحسّية المباشرة وكل التقارير العلمية الدقيقة أن الإرهاب الحقيقي، بكل ما في ذلك من معنى، يتجسّد في الجرائم الإسرائيلية المتمادية بحق الفلسطينيين واللبنانيين والمصريين والسوريين.

وأصدقاء الشعب الفلسطيني معه بشكل جدّي كما هو حال التضامن الغربي مع العدو الإسرائيلي؟ ماذا لو فتحت مصر والجزائر مثلاً الباب لمئات الآف الشباب للتطوّع دفاعاً عن فلسطين ومن أجل تحريرها من الاحتلال؟ ماذا لو سُمح للبنانيين والعراقيين مثلاً بالالتحاق في صفوف الفدائيين في غزّة والضفّة والقدس والداخل الفلسطيني؟

ألا يحق للفلسطينيين أن يناصرهم أحد جدياً أو أن هذا الأمر حقّ للإسرائيليين المحتلين دون غيرهم؟ علماً أن بعض الدول الأوروبية تعمل على إصدار قوانين تجرّم كل أشكال التضامن مع «حركة حماس» و«حزب الله» و«الجهاد الإسلامي» وتمنع رفع الأعلام الفلسطينية.

تمكّنت حركة المقاومة الإسلامية والمجاهدون في كتائب عزّ الدين القسّام في الأسبوع الماضي من تحرير أجزاء من جنوب فلسطين المحتلة وواجهوا ضبّاط وعناصر جيش العدو والمسلحين التابعين له (الذين يطلق عليهم اسم «المستوطنين»). ولم يتعرّض أي من المجاهدين للمدنيين بالأذى ولم يقتلوا الأطفال والشيوخ كما ادّعت وسائل الإعلام الغربية والأميركية المضلّلة، ولم يغتصبوا النساء ولم يسمّموا مياه الشرب ولم يدمّروا محطات توليد الكهرباء ولم يجرفوا أماكن العبادة ولم يقطعوا أشجار الزيتون ولم يمنعوا العلاج والدواء عن أحد. كل هذه الأفعال تشكل جرائم دولية وجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية يتمادى العدو الإسرائيلي بارتكابها بحق الفلسطينيين منذ أكثر من خمسين عاماً.

صحيح أن مجاهدي المقاومة الإسلامية اعتقلوا عدداً كبيراً من العسكريين الإسرائيليين ومجنّدين في جيش العدو ومسلّحين رجالاً ونساء، لكنهم أطلقوا سراح الأولاد وأفهاتهم. ويجري التعامل مع كل من تمكّنت المقاومة من اعتقالهم على أساس أنهم أسرى حرب لا بدّ من إطلاق سراحهم بعد عملية تبادل للأسرى. في المقابل، أعلن العدو الإسرائيلي أنه قطع الماء والكهرباء عن آلاف الأسرى الفلسطينيين الصامدين في المعتقلات الإسرائيلية حيث يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب والمسّ بكرامتهم الإنسانية.

العدو الإسرائيلي كان قد بدأ محاولاته بتصفية الفلسطينيين وكل من يناصرهم منذ ما قبل تأسيس الدولة العبرية الغاصبة عام 1948 ظناً أن بإمكانه تثبيت احتلال الأرض وتملّكها وتأسيس دولة فيها بعد التخلّص من أصحابها ومن معهم.

نستذكر في الآتي بعض المجازر التي ارتكبها جيش العدو الإسرائيلي بحق مدنيين فلسطينيين ومصريين ولبنانيين. ولا نستجدي التعاطف أو الشفقة من أحد بل نذكّر بأن كل ردود الفعل اللفظية وكل البيانات وتصريحات الشجب والاستنكار لم تؤدِ إلى تحقيق العدالة لأن العدو الإسرائيلي والدول الغربية والولايات المتحدة الأميركية التي تقف معه لا يفهمون سوى لغة القوة. فما هي خيارات الشعب الفلسطيني؟

من هو عزّ الدين القسّام؟

إعداد **بشرى زهوة**

ستبقى أحداث السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 في الأذهان لسنوات قادمة بعد أن اخترقت المقاومة الفلسطينية أجواء الأراضي المحتلّة من غزّة بعملية حملت اسم «طوفان الأقصى»، بتغطية صاروخية، اقتحم مقاتلو «كتائب الشهيد عزّ الدين القسّام»، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، الحدود مع مستوطنات الاحتلال براً وبحراً وجواً في هجوم يعدّ أقوى ضربة غير مسبوقة يتعرض لها العدو الإسرائيلي منذ الخمسين عاماً الماضية. تسبّبت العملية في خسائر مادية وعسكرية وبشرية كبيرة للاحتلال، ستبقى آثارها النفسية لسنوات على المستوطنين الذين «خُذلوا» من جهاز الأمن والاستخبارات «الشهير» في «دولتهم» الصهيونية الملطّخة بدماء الفلسطينيين.

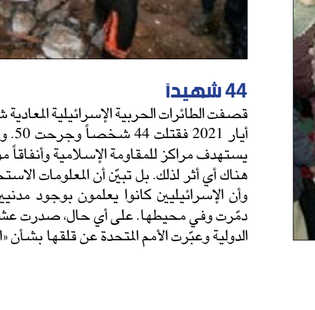

تجدر الإشارة إلى أن «حماس» قد أطلقت على جناحها العسكري اسم «كتائب الشهيد عزّ الدين القسّام» في منتصف عام 1991. فمَن هو عزّ الدين القسّام؟

هو محمد عزّ الدين بن عبد القادر القسّام، الملقّب بـ«شيخ المجاهدين». ولد في بلدة جبلة جنوبي اللاذقية، في سوريا، عام 1882 في أسرة متديّنة ومعروفة باهتمامها بالعلوم الشرعية. سافر في الرابعة عشرة من عمره إلى مصر لدراسة العلوم الشرعية في الأزهر، حيث تأثّر بقادة الحركة النشطة التي كانت تقاوم المحتلّ البريطاني في مصر.

قاد أول مظاهرة تأييداً للبيبين في مقاومتهم للاحتلال الإيطالي، وأنشأ حملة لجمع التبرعات، لكن السلطات العثمانية لم تسمح له ولرفاقه بالسفر لنقلها.

انتقل إلى قرية الحفة الجبلية لينضم إلى عمر البيطار في ثورة جبل صهيون (1919 - 1920) ضد الاحتلال الفرنسي الذي حكم عليه بالإعدام غيابياً، ففرّ عام 1921 إلى فلسطين مع بعض رفاقه، واتّخذ مسجد الاستقلال في حيفا مقراً له، حيث التحق بالمدرسة الإسلامية، ثم بجمعية «الشبّان المسلمين»، وأصبح رئيساً لها عام 1926.

كان القسّام في تلك الفترة يتابع استفحال الخطر الصهيوني بسبب السياسة البريطانية الداعمة لمشروع «الوطن القومي اليهودي»، ووصل إلى قناعة بأن بريطانيا هي العلّة وأن لا سبيل إلى ردعها سوى بالكفاح المسلّح. كان يرى أن الجهاد هو القاعدة الأساسية في مقارعة الاحتلال ومقاومته وتحرير الأرض واستنقاذها من المحتلّ. إذ شهر سلاحه في إحدى الخطب قائلاً: «يجب على كل مواطن وكل إنسان أن يتسلّح كي يدافع عن أرضه ووطنه».

كان جامع الاستقلال من أبرز المساجد في حيفا منذ أن اعتلى الشيخ القسّام منبره، فلم تكن خطبه لتقتصر على خطر الصهيونية وأطماعها في فلسطين بل امتدّت لتشمل مطامع الاستعمار في عموم الوطن العربي متمثلة بالانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان والانتداب البريطاني في فلسطين والعراق وشرق الأردن ونفوذه الكبير في مصر والسودان.

استطاع القسّام تكوين خلايا سرّية من مجموعات صغيرة، وجمع التبرعات من الأهالي لشراء الأسلحة. وتميّزت هذه المجموعات بالتنظيم الدقيق. فكانت هناك وحدات متخصصة كوحدة الدعوة إلى الجهاد، ووحدة الاتصالات السياسية، ووحدة التجسّس على الأعداء، ووحدة التدريب العسكري.. وغيرها.

تسارعت وتيرة الأحداث في فلسطين عام 1935، وشددت السلطات البريطانية الرقابة على تحركات الشيخ القسّام في حيفا، فانتقل إلى الريف حيث يعرفه أهله منذ أن كان مأذوناً شرعياً وخطيباً يجوب القرى ويحرّض ضد الانتداب البريطاني، فأقام في منطقة جنين ليُلعن ثورته المسلّحة من هناك، بعد بدء طوفان الهجرة اليهودية الجماعية، في 12 تشرين الثاني 1935.

استشهد القسّام بعد أن كشفت القوات البريطانية أمره في 15 تشرين الثاني 1935، عندما تحصّن هو ومجموعة من أتباعه بقرية الشيخ زايد.

كان لاستشهاد الشيخ عز الدين القسّام أثر كبير في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، ونقطة تحوّل كبيرة في مسيرة حركة المقاومة الفلسطينية جيلاً بعد جيل.

مجزرة خان يونس – فلسطين
3 تشرين الثاني 1956

386 شهيداً

بدأت المجزرة صباح يوم السبت 3 تشرين الثاني عام 1953 بعدما نادى جيش الاحتلال الإسرائيلي عبر مكبرات الصوت بخروج جميع الشبّان والرجال من سن 16 عاماً وحتى سن الخمسين، ثم اقتادتهم إلى أطراف خان يونس حيث أطلق عليهم جنود العدو النار دفعة واحدة من أسلحة رشاشة.

تواصلت المجزرة حتى الثاني عشر من تشرين الثاني واستهدفت جنوداً أسرى من الجيش المصري الذين كانوا يدافعون عن المدينة. اعترف المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس بأن جيش الاحتلال الإسرائيلي قتل 200 فلسطيني أثناء هذه المجزرة، بينما أشار المفكر الأميركي نوام تشومسكي إلى أن عدد الشهداء يفوق 275 أضف إليهم 111 شهيداً قتلهم الإسرائيليون بشكل متزامن في مدينة رفح. في 15 كانون الأول 1956، قدّمت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) تقريراً إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة عن «حادثة خان يونس» جاء فيه أن 257 شخصاً أعدموا في يوم واحد. لم تفتح الأمم المتحدة تحقيقاً في «حادثة خان يونس» وأفلت مرتكبي المجزرة من العقاب بينما صدرت عشرات بيانات الشجب والاستنكار.

مجزرة مدرسة بحر البقر – مصر
8 نيسان 1970

46 طفلاً شهيداً

تقع بلدة بحر البقر في جنوب مدينة بور سعيد، وقد استهدفت الطائرات الحربية الإسرائيلية المدرسة الابتدائية التي تقع في البلدة صباح يوم الأربعاء 8 نيسان 1970، الساعة التاسعة وعشرون دقيقة، وقتلت 46 طفلاً من أصل 130 طالباً كانوا في المدرسة.

ادّعت بعض وسائل الإعلام الغربية أن المجزرة أتت عن طريق الخطأ، بينما أصرّ مندوب العدو الإسرائيلي في الأمم المتحدة أن المدرسة الابتدائية تقع داخل مركز عسكري تابع للجيش المصري.

لم تقرر الأمم المتحدة فتح تحقيق في الأمر رغم معرفتها بمقتل 46 طفلاً بقصف جوّي إسرائيلي.

مجزرة الزرارية – لبنان
11 آذار 1985

40 شهيداً

أغارت الطائرات الحربية للعدو الإسرائيلي يوم الاثنين 11 آذار 1985 على بلدة الزرارية الجنوبية مرتكبة مجزرة قتلت فيها 40 مدنياً. وقال رئيس أركان جيش العدو آنذاك، موشيه ليفي، إن عملية سلاح الجو الإسرائيلي كانت «عملية استباقية»، مدّعياً أن عملية للمقاومة كانت تتحضر في الزرارية. وأطلق جيش العدو الإسرائيلي النار على طواقم الإسعاف التابعة للصليب الأحمر عندما حاولوا الاقتراب من البلدة لإسعاف الجرحى ونقل جثامين الشهداء. كما أطلق جنود الاحتلال النار على الصحافيين لمنعهم من نقل الوقائع. نقلت وسائل الإعلام لاحقاً مشاهد لأشخاص عجز قتلوا دهساً بالدبابات بينما كانوا في سياراتهم. كما عثر على بعض جثث الشهداء في نهر الليطاني بعد أن أعدمهم الإسرائيليون.

قال وزير الاتصالات الإسرائيلي آنذاك، أمنون روبنشتاين، إن ما حصل في الزرارية كان «فشة خلق» (emotional release).

وصدرت يومها العديد من البيانات والتصريحات التي تستنكر وتشجب الإجرام الإسرائيلي..

مجزرة قانا – لبنان
18 نيسان 1996

106 شهداء

استهدفت مدفعية جيش العدو الإسرائيلي يوم الخميس 18 نيسان 1996 مركزاً تابعاً لمنظمة الأمم المتحدة في بلدة قانا الجنوبية لجأ إليه نحو 800 مدني هرباً من القصف. استشهد 106 أشخاص معظمهم من الأطفال والنساء والعجز.

كلفت الأمم المتحدة الجنرال الهولندي فرانكلين فان كابن التحقيق بالأمر. وخلصت التحقيقات إلى أن جيش الاحتلال الإسرائيلي استهدف مركز الأمم المتحدة بشكل متعمد. رفض العدو نتائج تحقيق الأمم المتحدة واقتصرت ردود الفعل الدولية على المجزرة على بيانات استنكار وشجب من دون أن يحاسب مرتكب المجزرة على أفعاله.

مجزرة حي الزيتون – فلسطين
4 كانون الثاني 2009

48 شهيداً

استهدف جيش الاحتلال الإسرائيلي يوم الأحد 4 كانون الثاني 2009 حي الزيتون في غزة المحاصرة وقتل 48 مدنياً فلسطينياً. وتبيّن لاحقاً أن جيش العدو كان يعلم بوجود أطفال ونساء في أحد المنازل المكتظة بالهاربين من القصف وقصفه بشكل مركّز ما أدى إلى وقوع مجزرة. وقبل مغادرة المكان كتب بعض جنود العدو عبارات «الموت للعرب» على بقايا جدران المنازل المدمّرة.

وقد صدرت عشرات بيانات الاستنكار والشجب في وسائل الإعلام.

مجزرة شارع الوحدة – فلسطين
16 أيار 2021

44 شهيداً

قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية المعادية شارع الوحدة المكتظ يوم الأحد 16 أيار 2021 فقتلت 44 شخصاً وجرحت 50. وادّعى جيش العدو لاحقاً أنه كان يستهدف مراكز للمقاومة الإسلامية وأنفاقاً موجودة تحت الأرض، لكن لم يكن هناك أي أثر لذلك. بل تبيّن أن المعلومات الاستخبارية الإسرائيلية لم تكن دقيقة وأن الإسرائيليين كانوا يعلمون بوجود مدنيين بشكل كثيف في المباني التي دمّرت وفي محيطها. على أي حال، صدرت عشرات بيانات الاستنكار والشجب الدولية وعبّرت الأمم المتحدة عن قلقها بشأن «ارتفاع وتيرة العنف» في المنطقة.

متابعة

بورصة التبليغات تهدد حق التقاضي

تبدّل واقع التبليغات القضائية اليوم نتيجة ارتفاع سعر صرف الدولار مقابل تدني الحدّ الادنى للاجور. ملقيا ثقله على المواطنين كذلك على المحامين الذين يعانون بسبب عدم قدرتهم على تحمّل هذه الاعباء كما في السابق على قاعدة «مش حرزانة نطلب من الموكل حق التبليغ 10 الاف ليرة» مع اضطرارهم لتكرار هذه العملية مع كل إضراب او اعتكاف او حتى تأجيل الجلسة بسبب غياب القاضي او لاي سبب من الاسباب. وفي السياق نفسه، هناك قلة «يغامرون» في قصور العدل من اجل تحصيل حقوقهم في مقابل ارتفاع نسبة المواطنين الذين يتخلون عن «حقهم في التقاضي» لانهم يشعرون ان طريق العدالة متعثّر لايسلكه الاكل ذي مال وفير. فما هي البورصة المعتمدة للتبليغ اليوم؟ وما هو تأثير ذلك على حق التقاضي بشكل عام؟

(هيثم الموسوي)

فاطمة خشاب درويش

«كيف بدي إقدر إتحمّل إدفع كل ما يكون عندي جلسة مبلغ 3 أو 4 ملايين حتى بلّغ أشخاص هني كانوا سبب بخسارة كبيرة بحياتي، المحامي بيقول مش قادر إتحمّلها، وانا مش قادر إتحمّل إدفع التبليغات، شو لازم اعمل بعد سنة ونص من الشمشطة، لازم ما عاد فكر بحقي!» يصرخ ماهر، احد المواطنين الذين يعانون في المحاكم اللبنانية، في وجه هذا الواقع القضائي المتردّي، الذي يمنعه ولأسباب مختلفة من الحصول على حقه، وهو الذي اختار طوعاً أن يحصّله بالطرق القانونية إيماناً منه بدولة القانون.

وحول تسعيرة التبليغات، يقول: «كنا قبل ما نحس بالموضوع وتمرق الأمور، هلق صارت أقل تبليغة بتكلّف 700 ألف، وتكاليف المحامي صارت بالدولار، كل شي عم يدفعه بالدولار من الرسوم والطوابع والتبليغات حسب قوله، وعم بضطر كفّي لأني صرت بنص الطريق، بس شكلها مطولة».

التبليغ في القانون

بموجب القانون الرقم 90 تاريخ 1938/09/16 «أصول المحاكمات المدنية» «يجري إعلام أصحاب العلاقة بمضمون أوراق المحاكمة وإجراءاتها عن طريق التبليغ» (المادة 397)، كما «يجري التبليغ على يد مباشر. ويجوز إجراؤه أيضاً بواسطة رجال الشرطة أو الدرك. كما يجوز إجراؤه بواسطة الكاتب في القلم (المادة 398). تكون أعمال المحاكمة وأوراقها بلا قيمة أو أثر إذا لم يجر إعلام الخصم الآخر بها رسمياً بتبليغ قانوني، وذلك من أجل تأمين حقوق الدفاع، وإفساحاً في المجال لمناقشتها وتقديم الجواب المناسب بشأنها عملاً بمبدأ وجاهية المحاكمة، فالاستحضار واللوائح والإنذارات والطلبات بوجه عام، لا يترتب عليها أي أثر إلا من تاريخ إبلاغها إلى الشخص الموجهة إليه.

من جهة ثانية، إن التنفيذ الجبري للإلزامات التي يتضمّنها الحكم، لا يمكن أن يجري مبدئياً إلا بعد تبليغه من المحكوم عليه، كما أن المهل المحددة في القانون، وخصوصاً لسلوك طرق الطعن لا تسري إلا من تاريخ التبليغ. كما يجري التبليغ أصولاً بموجب محضر يشتمل على بيانات معيّنة، وبطرائق حددها القانون في الفصل الرابع من قانون أصول المحاكمات المدنية، من المادة 397 ولغاية 414 ضمناً.

بورصة التبليغات

«الأصل في التبليغات أن تكون مجانية لأن المباشر هو موظف مكلّف من المحكمة للتبليغ ويعمل بحكم وظيفته كمساعد قضائي ويتقاضى راتباً لقاء تنفيذ مهمّته» يقول المحامي مهند كنج، مستذكراً كيف كان المحامي يدفع مبلغ 20 ألف ليرة سابقاً للمُباشر على سبيل الإكرامية، أما حالياً ومع حالة التضخم وارتفاع الأسعار لا سيّما المحروقات وتعرفة النقل ومع انخفاض رواتب الموظفين في القطاع الرسمي ومنهم المباشرين أصبح المواضع مختلفاً.

يشير كنج إلى أن تكلفة عدد من التبليغات تصل اليوم إلى حدود 3 ملايين ليرة لبنانية، في بيروت وبعبدا مثلاً، لا سيّما إذا تكررت محاولة التبليغ لأكثر من مرة. ويبلغ بعضها في حدّها الأدنى 750 ألف ليرة إذا كانت المسافة قريبة جداً وفرة واحدة ولم تتكرر، وهذا في بيروت وبعبدا والأقضية القريبة. مضيفاً أن في مناطق الأطراف سواء في الشمال والجنوب، حيث المساحات واسعة وبعيدة فإنه على سبيل المثال «تصل كلفة التبليغ في منطقة النبطية أو بنت جبيل أو الهرمل أو بعلبك أو جبيل إلخ.. إلى حدود 4 ملايين أو أكثر وفقاً للاتفاق مع المباشر، وكذلك في حال عدم تكرار المحاولة، ووفقاً للاتفاق بين طالب التبليغ والمباشر في حال تكرارها فتزداد الكلفة حكماً».

تجدر الإشارة إلى أن نفقات التبليغات أيضاً هي من النفقات التي يدفعها الخصوم وتكلفهم بها المحاكم وتحدد قيمتها أحياناً كما يحدث في دائرة التنفيذ.

تبليغ الورقة اكبر المشكلات

يتشارك المحامي حسن بزي مع زملائه معاناة التبليغات القضائية التي باتت تشكل عائقاً أساسياً أمام الناس للاستمرار في الدعاوى القضائية بعد الاعتكافات والإضرابات من حين إلى آخر، والمشكلة برأيه «ليست في دولرة تسعيرة التبليغ الذي كانت قيمتة 7 دولارات أي ما يقارب 700 ألف ليرة لبنانية، بل تكمن عند الموكل الذي كان يتقاضى راتباً بحدود 5 ملايين ليرة لبنانية أي ما يقارب 33 دولاراً وهو اليوم يتقاضى ما يقارب 100 دولار، فأصبحت تكلفة التبليغ الواحد عبئاً عليه، كيف إذا كان في القضية أكثر من طرف يفترض تبليغه، وماذا لو تأجلت الجلسة لسبب من الأسباب؟».

> لا يمكن للمباشر ان يُبلّغ دون أن يتقاضى مبلغاً يغطي تكاليف تنقله

ويضيف أن هذا الوضع برمته أصبح صعباً وأن المحامين باتوا غير قادرين على تحمّل تكلفة التبليغات التي كانت في السابق «مش حرزانة»، وتكبر المشكلة اليوم في الدعاوى أمام القاضي العقاري خصوصاً في الجنوب، حيث جرت العادة على المعترض على الملكية العقارية أن يدّعي على كل الورثة، وهو مضطر لتبليغهم جميعاً، وقد يصل عدد التبليغات إلى 50.

ويلفت بزي إلى الإجراءات التي يقوم بها المحامي بعد كل اعتكاف أو تأجيل للجلسات، إذ يضطر إلى الذهاب إلى قصر العدل لتعيين جلسة، ثم يذهب مرة ثانية للتبليغ، ومرة ثالثة لتكليف مباشر لإجراء عملية التبليغ.

غياب الانتظام القضائي

من جهته، يرى المحامي أحمد برجاوي أن المشكلة اليوم أبعد من موضوع ارتفاع تكلفة التبليغ القضائي أو حتى تدني الأجور في القطاع العام أو الانهيار الاقتصادي الذي ضرب البلد منذ سنوات، إنها تكمن في عدم وجود انتظام في العمل القضائي، إذ تؤجل الجلسات غالباً لأسباب متعددة ولكن النتيجة واحدة، توقّف للعدالة، ودفع المواطن الثمن من وقته ومن جيبه. «هناك دعاوى عالقة منذ سنوات في المحاكم، ولم تصل بعد إلى مرحلة صدور الأحكام، نتيجة اعتكاف القضاة أو إضراب المساعدين القضائيين، ومرات عديدة بسبب جائحة كورونا».

ويتابع: «عندما ينتظم العمل القضائي، ويحضر القضاة والمساعدون القضائيون، ويتوفر المازوت للقوى الأمنية لسوق الموقوفين من السجون، حينها تنعقد الجلسات في مواعيدها، ولا تؤجل، ولا يعود هناك مشكلة في موضوع التبليغات القضائية».

ماذا يقول المباشرون؟

لا يعتقد عدد من المباشرين الذين تواصلت معهم «القوس» في بعض الأقضية أنه يوجد مشكلة في موضوع التبليغات القضائية، فهم يقومون بواجباتهم سواء عبر التكاليف التي يكلفون بها من دوائر التبليغ الموجودة في بيروت، وزحلة، والنبطية، وطرابلس، وصيدا، أو من خلال تكليفهم من المحامين بصورة مباشرة في الأقضية التي لا يوجد فيها دائرة للتبليغ.

يبلغ المعدل اليومي للتبليغات التي يكلّف بها المباشر ما بين 4 إلى 6 تبليغات، أما بالنسبة للكلفة فتراوح بحدّها الأدنى بين 600 و700 ألف ليرة وقد تصل، في المناطق البعيدة، إلى كلفة تساوي: سعر صفيحة بنزين مضافة إلى كلفة التبليغ. وفي حال تعدد الأطراف الذين يفترض تبليغهم تتكرر قيمة التبليغ من دون ثمن صفيحة البنزين إذا كانوا في المكان نفسه، وفق ما أفاد أحد المباشرين.

كما يشير مباشر آخر، في سراي بعبدا في محافظة جبل لبنان، إلى أن تعرفة التبليغ باتت معمّمة بين المباشرين، ويقول: «أنا كمساعد قضائي في بعبدا حيث لا يوجد دائرة للتبليغ والمباشرين اتلقّى التكليف مباشرة من المحامين، وعادة ما أقوم بذلك بعد انتهاء دوام العمل، وإذا كان هناك أكثر من تبليغ واحد يراعي الأمر إذا كانوا يقطنون في المنطقة نفسها». وردّاً على سؤال حول اتّباع أصول التبليغ، يلفت إلى أن «المباشر يحرص على القيام بعمله، إلا أنه في بعض الأحيان يرفض المعني فتح الباب واستلام التبليغ، أقوم حينها بكتابة ما جرى على خلف التبليغ، آخر همنا، يكتب هيدا الشي بالتبليغ، وإذا حدن من أهله كان، ورفض يتبلّغ، بترك التبليغ وبمشي».

وحول انخفاض عدد التبليغات، يؤكد المباشر ذلك مقارنة بالسابق، معتقداً أنه يعود لـ«الضغط الاقتصادي ويمكن ما عاد في ناس مؤمنة إنو تاخد حقها بالقانون، اكتر شي عم نبلغه هوّي عرض الطلب والإيداع، والديون والقروض، والإيجارات».

من جهته، يتحدث المباشر في قضاء النبطية، أحمد معتوق، عن عمل المباشرين وتحديداً في المحافظات «مسافات طويلة بين القرى، لا يمكن للمباشر أن يجري عملية التبليغ دون أن يتقاضى مبلغاً يغطي تكاليف تنقله، أحياناً نذهب من النبطية إلى بنت جبيل للتبليغ، طبيعي أن يحصل المباشر على كلفة البنزين وكلفة التبليغ وهي بحدّها الأقصى تصل إلى ثلاثة ملايين ليرة».

وحول تلكؤ عدد من المباشرين في إتمام عملية التبليغ أو التهاون في اتّباع الأصول القانونية له، لا ينفي معتوق وجود أشخاص يقومون بذلك من أجل كسب المزيد من المال، ولكنهم قلة برأيه.

«القوى الامنية.. بتقبض كمان»

يجوز إجراء التبليغ أيضاً بواسطة رجال الشرطة أو الدرك (المادة 398 من قانون أصول المحاكمات المدنية). يعطي القانون القوى الأمنية الصلاحية للتبليغ ولطالما كانت القوى الأمنية هي الملاذ لمن لا يملك المال أو لا يريد دفعه من أجل القيام بعملية التبليغ، إلا أن الوضع حالياً قد تغيّر، لم توقف القوى الأمنية عمليات التبليغ، ولكن الموضوع يتطلب دفع المال، فلا مازوت متوفر لتحريك الآلية، وغالباً ما يجمع عشرات طلبات التبليغ للقيام بها دفعة واحدة.

حالات عديدة زودنا بها عدد من المحامين والمحاميات (نتحفظ عن ذكر أسمائهم)، تؤكد أن دفع المال بات أمراً واقعاً في عدد من المخافر من أجل الإسراع في عملية التبليغ دون أدنى حرج. وتذكّر إحدى المحاميات أن أحد العناصر الأمنية أخذ منها 20 دولاراً أميركياً لتبليغ شخص يبعد أمتاراً قليلة من المخفر، ويشير محام آخر إلى أنّه «من أجل الإسراع في عملية التبليغ، ندفع للقوى الأمنية حتى يتحركوا للتبليغ، للأسف هيدا الواقع».

التبليغات بين المحامين

«يصح تبليغ الأوراق بين المحامين مباشرة شرط أن ترسل الورقة المطلوب إبلاغها إلى المحامي الآخر بنسختين فيعيد إحداهما الواجب تقديمها للمحكمة إلى مخابر الواجب بعد وضع التاريخ عليها وتوقيعها منه إشعاراً بالتبليغ» (المادة 411 من قانون أصول المحاكمات المدنية). أجازت هذه المادة للمحامين التبليغ في ما بينهم، إلا أن هناك محامين يتهربون من استلام التبليغ، وفي حالات يترك المحامي مكتبه نهائياً، أو ينتقل إلى مكان أو مكتب آخر ولا يُعرف عنوانه.

يشير مفوّض قصر العدل في نقابة المحامين، عماد مارتينوس، إلى أن «النقابة متنبّهة لموضوع التبليغات بين المحامين، وعندما يصل تبليغ مختوم ومشروح خلفه سبب تعذّر التبليغ تتابع النقابة الموضوع عبر دائرة من أعضاء مجلس النقابة السابقين يتولون مهمة التواصل مع المحامي، وغالباً ما يكون هناك سوء تفاهم ليس إلّا».

ويتابع: «تجري النقابة كشفاً للتأكد من وجود مكتب للمحامي، وفي حال ثبت الأمر تبدأ النقابة بإجراءات التنبيه، وفي حال التكرار يحق للنقيب إحالة المحامي إلى المجلس التأديبي».

ويخلص إلى القول: «دور النقابة حاسم، وهي تقوم بإجراءات جدّية وصارمة خاصة للمحامين الذين يتهربون من التبليغات، حفاظاً على المهنة وحفاظاً على حقوق المتقاضين، لأننا حريصون على سير العدالة بشكل صحيح».

متابعة

وزير العدل لإبقاء الموقوفين في السّجون..

صرّح وزير العدل في حكومة تصريف الاعمال هنري خوري بأن عدم تطبيق القانون هو امر يقتضي الاستمرار فيه. ان يصدر كلام كهذا عن وزير مؤتمن على العدالة، يستنسب تطبيق النصوص القانونية التي تلائم افكاره، امر في غاية الخطورة. ولم يكن ينقصه إلا التصريح بأن اسجنوا اللبنانيين والسوريّين من دون قيد او شرط. في معادلة بعيدة عن دولة القانون والمؤسسات من جهة، وعن قرينة البراءة من جهة ثانية. فالوزير لا يشجّع الإسراع في المحاكمات او إخلاء سبيل الموقوفين وفق الاصول القانونية او تقصير السنة السجنية، بل يفضّل بناء سجون إضافية. لذلك، حبذا لو يطّلع على المادة 8 من الدستور التي تنصّ على ان «الحرية الشخصية مصونة وفي حمى القانون. ولا يمكن ان يقبض على احد او يحبس او يوقف إلا وفاقاً لاحكام القانون. ولا يمكن تحديد جرم أو تعيين عقوبة إلا بمقتضى القانون»

صادق علوية

يغيب عن وزير العدل هنري خوري مبدأ المحاكمة العادلة التي تتمثل بعدم جواز توقيف أي شخص إلا وفق القانون، فاستمرار التوقيف الاحتياطي هو الأمر الذي يقتضي تلافيه، لأن الأصل هو الحرية والاستثناء هو التوقيف، كما سبق أن بيّنت «القوس» في مقالة بعنوان «التوقيف الاحتياطي المستدام خلافاً للقانون».

إذ يقتضي تطبيق قانون أصول المحاكمات الجزائية إخلاء سبيل من يقتضي إخلاء سبيله والحكم على المجرمين من بين الموقوفين. كما يقتضي تعديل المادة 108 من قانون أصول المحاكمات الجزائية لوضع حدّ أقصى للتوقيف الاحتياطي في جميع الجرائم، إذ لا يجوز استغلال الاستثناءات المنصوص عنها لجهة الجنحة والتي تستثني المحكوم عليه سابقاً بعقوبة مدتها سنة على الأقل، أو في الجنايات التي تستثني الموقوف المحكوم عليه سابقاً بعقوبة جنائية وجنايات القتل والمخدرات والاعتداء على أمن الدولة والجنايات ذات الخطر الشامل وجرائم الإرهاب، ما يدل على وجود حاجة ملحّة لوضع حدّ أقصى للتوقيف الاحتياطي في كل الجرائم. ويكون الحل الأمثل لعدم إطلاق سراح الجناة هو تسريع محاكمتهم وتوقيع العقوبات المناسبة عليهم، لا سيّما أن قانون أصول المحاكمات الجزائية نصّ على إمكانية الاستعاضة عن توقيف المدعى عليه بوضعه تحت المراقبة القضائية، وبإلزامه بموجب أو أكثر من الموجبات التي يعدّها ضرورية لإنفاذ المراقبة (راجع «القوس»، 26 آب 2023، «المراقبة بدل التوقيف لتخفيف الاكتظاظ»). ولكن الأهم هو ما ورد في قانون أصول المحاكمات الجزائية حول حماية الحرية الشخصية من التوقيف غير المشروع، إذ يتوجب، كما تنصّ المادة 403 منه، على كل من النائب العام الاستئنافي أو المالي ومن القاضي المنفرد الجزائي، كل ضمن حدود اختصاصه، عندما يبلغه خبر توقيف أحد الأشخاص بصورة غير مشروعة، أن يطلق سراحه بعد أن يتحقّق من عدم مشروعية احتجازه وإذا اهمل أي منهم العمل بما تقدم يلاحق مسلكياً.

ففي تقرير أعدته وزارة العدل بناء لطلب مجلس الوزراء، وفي جوابها على سؤال من الحكومة حول الطلب من السلطات القضائية الإسراع في المحاكمات التي من شأنها التخفيف من مشكلة الاكتظاظ في السجون، لفتت الوزارة إلى أن العنوان الأكبر للمشكلة الموجودة ليس في بطء المحاكمات، إنما في اكتظاظ السجون وتخطّي قدرتها الاستيعابية، وتوقفت الوزارة عند ثلاث نقاط:

- الأولى، ضعف الإمكانيات اللوجستية لناحية سوق المتهمين إلى القضاء للتحقيق بسبب الصعوبات التي تعانيها المؤسسات الأمنية، كالنقص في عدد الآليات المخصصة لنقل الموقوفين من النظارات والسجون، إضافة إلى عدم توفّر الوقود، ما يستدعي تضافر الجهود بين مختلف الوزارات لا سيّما وزارة الداخلية والبلديات من باب التعاون بين السلطتين القضائية والتنفيذية. إذ أشارت المصادر في هذا السياق إلى أن العديد من المحاكمات تتأخر بسبب عدم انعقاد الجلسات في موعدها المحدد نظراً لتعثر سوق الموقوفين في قضية واحدة من سجون مختلفة (راجع «القوس»، 22 تموز 2023، ما في «سوق»).

- الثانية، اتجاه عدد كبير من قضاة الجنايات، بحسب وزير العدل، إلى عدم تطبيق المادة 108 من قانون أصول المحاكمات الجزائية التي تنصّ على المدة القصوى للتوقيف الاحتياطي وهي شهران قابلة للتجديد مرة واحدة بالنسبة للمتهمين بارتكاب الجنح، وستة اشهر قابلة للتجديد مرة واحدة بالنسبة للمتهمين بالجنايات باستثناء جرائم القتل والمخدرات، أو التوقيف أمام المحقق العدلي من دون تحديد أي مهلة، ومن ثم تخلّي الجهة القضائية المختصة سبيل الموقوف.

والخطير في المسألة أن وزير العدل

(من الويب)

يعتقد أنه إذا كان تطبيق المادة 108 وما يترتب عليها من إخلاءات سبيل يساعد على الحدّ من مشكلة الاكتظاظ من جهة، فإنه ينعكس خطورة على المجتمع من جهة ثانية.

وتورد الوزارة أمثلة لإثبات وجهة نظرها. ففي جبل لبنان مثلاً، وفقاً للوزارة، 314 من المساجين هم من المحكومين مرة ثانية، إضافة إلى زيادة نسبة الدعاوى الخاصة بالسوريين بنسبة 40% (قضايا مخدرات في المقام الأول)، ولا يُمكن إخلاء سبيل مرتكبي هذ الجرائم الجنائية بسهولة، خصوصاً أنها تمثل خطراً على المجتمع والنظام العام. مع الإشارة إلى أن السوريين يشكلون نسبة 27% من المساجين داخل السجون اللبنانية، أما بين الأحداث، فترتفع النسبة إلى 48% وهي نسبة مقلقة بحسب الوزارة.

ولئن كان وزير العدل قد أشار إلى هذا الامر في معرض إجابته حول مسألة النازحين السوريين، إلا أن الأمر لا يتعلق بهم وحدهم. فجميع الموقوفين اللبنانيين وغير اللبنانيين سواءً أمام القانون ومتساوون بالتوقيف التعسّفي.

- النقطة الثالثة تتعلق بتقصير السنة السجنية إلى 6 أشهر. فإذا كانت وظيفة العقوبة تتمثل بالردع وحماية المجتمع وإعادة التأهيل، فإن المجرم لن يتوانى عن ارتكاب الجرم نفسه من دون أي رادع ما دام التدبير القانوني تجاه فعله الجرمي قد أصبح من دون جدوى.

وعليه، خلصت وزارة العدل إلى أن الحل الأمثل لمشكلة اكتظاظ السجون ليس بتفعيل إخلاءات السبيل ولا بتقصير السنة السجنية، إنما ببناء السجون لاحتواء الأزمة، وهذا يستوجب السير بالمخطط التوجيهي لبناء 3 سجون في مجدليا وللا في البقاع الغربي والنبطية كما كان مقرراً. وزير العدل لا تلائمه المادة 108 من قانون أصول المحاكمات الجزائية وكذلك المادة 403 من القانون نفسه. والموقوفون المحكومون بدورهم لا تلائمهم العقوبة، فهل نحكم عليهم بالبراءة؟

متابعة

هل نقل العدوى للغير جريمة؟

في متابعة للمسؤولية الجنائية عن نقل الأمراض الجنسية (راجع «القوس»، 7 تشرين الأول 2023، «هل العدوى جريمة؟») تقتضي الإشارة إلى أهمية التحقيق الجنائي العلمي والتحقيق الشفاف لتحديد المسؤولية لا سيّما في الحالة التي يكون فيها المصاب، ناقل العدوى، عالماً بإصابته واتخذ قرار المخاطرة بحياة شريكه، أو أنه تقصّد نقل العدوى لقتل الشريك عمداً.

فالقانون اللبناني ينظّم مسألة الجرائم المضرّة بصحة الإنسان والحيوان في الفصل الثالث من قانون العقوبات، إذ تتضمّن النبذة الأولى من هذا الفصل موضوع الأمراض الوبائية. وتفرّق المادة 604 بين قلّة الاحتراز والإهمال من جهة أو عدم العلم بالمرض من جهة ثانية أو العمد مع العلم بالمرض، أو القصد دون العمد. فمن يتسبّب بإصابة الغير بالعدوى مع علمه بالإصابة يعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات فضلاً عن الغرامة في الحالة التي لا يكون قاصداً موت الشريك.

أما إذا كان قاصداً، فتكون العقوبة من عشرين سنة إلى خمسة وعشرين سنة إذا ارتكب فعل القتل أحد الزوجين ضد الآخر وفقاً لنصّ المادة 547 من قانون العقوبات. أما إذا ارتكب القتل القصدي عمداً فيعاقب بالإعدام على هذه الجريمة وفقاً للمادة 549 من القانون نفسه.

تجدر الإشارة إلى أن مجلس النوّاب قد أصدر قراراً، أثناء جائحة كورونا، بتعديل المادة 604 من قانون العقوبات التي تتناول انتشار الأمراض الوبائية بموجب القانون الرقم 2022/256 تاريخ 2022/1/5، المنشور في الجريدة الرسمية بتاريخ 2022/1/13، ليعاقب عشرين سنة إلى خمسة وعشرين سنة من خالف القرارات أو التعليمات الوقائية الصادرة عن السلطات المختصة والرامية إلى الحدّ من انتشار الأوبئة بغرامة تعادل نصف الحدّ الأدنى الرسمي للأجور، بعدما كانت غرامة مالية زهيدة، وتضاعف العقوبة في حالات التكرار. أما من تسبّب عن قلّة احتراز أو إهمال أو عدم مراعاة للقوانين أو الأنظمة في انتشار مرض وبائي من أمراض الإنسان عوقب بالحبس حتى ستة أشهر. وفي حال أقدم الفاعل على فعله وهو عالم بالأمر من غير أن يقصد موت أحد عوقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات فضلاً عن الغرامة.

صادق ..

الضابطة العدلية

على «فيسبوك»، حيث الفضاء مفتوح «نسبيًا» للتفاعل مع البيانات الرسمية، يظهر التنوع في جمهور الصفحة الافتراضي الكبير. فهناك من يحكمه الهاجس الدائم من عودة الحرب وسطوة الميليشيات فلا يملك سوى التصفيق لكل ما يتعلق بـ«الشرعية» و«الدولة» و«المؤسسات» بمعزل عن تفاصيل الخبر او البيان المنشور. وهناك المطّلع على التفاصيل الذي يشكّك او يصوّب أو يدحض الرواية الرسميّة مقدّمًا ما لديه من حجج وادلة وبراهين على هشاشتها. وهناك من لا يرى أي إنجاز يُذكَر في القبض يوميًا على عصابات السلب والسرقة والقتل والاتجار بالمخدرات، مع كل ما ينطوي عليه الامر من مخاطرة من قبل عناصر يعيشون أوضاعًا حياتية بالغة الصعوبة. طالما العالم يسيف ذلك اعتقال جميع السياسيين الفاسدين وسوقهم فورًا إلى السجون. سائلاً الداخلي)، بتنمية العلاقة بين قوى الأمن الداخلي ووسائل الإعلام، وتوثيق العلاقة بين رجال قوى الأمن الداخلي والمواطنين، وتزويد وسائل الإعلام بكل ما يتعلق بنشاطات قوى الأمن الداخلي، بالإضافة إلى مهام أخرى متنوعة.

«إعلام قوى الأمن» في الفضاء الافتراضي دنيا ربيع؟

كريم حرب

تعنى «شعبة العلاقات العامة» المسؤولة عن «الإعلام الأمني»، وفقاً للمادة 17 من المرسوم الرقم 1157 الصادر في 1991/5/2 (تحديد التنظيم العضوي لقوى الأمن

سذاجة البعض في مقاربتهم للامور وتجاهلهم واقع البلاد لا يعفي قوى الامن وإعلامها من تهمة المبالغة في إظهار المثاليّة

لا يختلف حال «الشعبة»، على أرض الواقع، عن حال الإعلام الرسمي في كل مكان وزمان، طالما المهمة واحدة تقريباً: إسباغ المثالية على واقع ليس مثالياً البتّة، من خلال التركيز على وقائع معيّنة، وتغييب أخرى، وتكذيب أي نقد سلبي مع تجاهل الأدلة عليه، وتصدير صور ذات طابع إنساني (مساعدة العجائز في اجتياز الطريق، وملاطفة الأطفال، وإزالة العوائق من الطرقات وغيرها...)، وهي صور يُفترض أنها عفوية ولكنها سرعان ما تترك لدى المتلقي انطباعاً بأنها أعدّت بعناية لتوثيق لحظات مرغوب بتخليدها دون غيرها، وهو انطباع يتحوّل إلى مسلّمة حين نعلم أن الصفحة تطلب هذه الصور بشكل مسبق من القطعات العملانية (مخافر وفصائل ومفارز سير وطوارئ وخلافه...) بموجب برقيات رسمية تصدر عن المديرية في كل مناسبة (أعياد، واحتفالات، وتظاهرات...). ربما لا يمكن توقع خلاف ذلك، وانتظار الالتزام التام بمعايير الموضوعية والمهنية من وسيلة إعلامية تمثل جهة رسمية تفرض عليها مهامها وطبيعة عملها الدفاع الدائم عن نفسها، خصوصاً حين تجد نفسها طرفاً في نزاعات تتحوّل إلى قضايا رأي عام، وتملك حولها سردية مقابل سردية مضادة بطبيعة الحال.

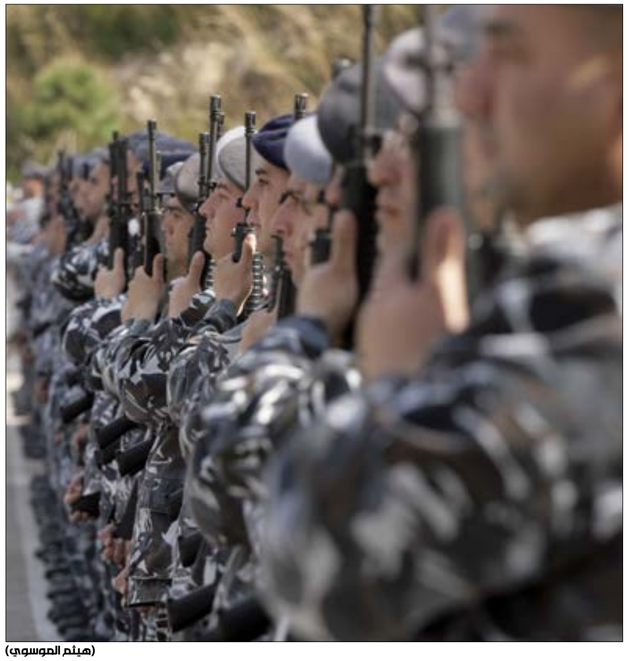
(هيثم الموسوي)

ولعل أكثر تمظهرات هذا الواقع تجلياً هو ما حصل في الفترة التي تلت انطلاق حراك 17 تشرين، مع الصدامات العنيفة التي تكررت بين عناصر قوى الأمن ومحتجين وأدت إلى سقوط جرحى في حالات كثيرة. كان المحتجون ومن خلفهم «وسائل إعلام الثورة» يتهمون القوى الأمنية بممارسة العنف ابتداءً، وترد قوى الأمن عبر شعبة العلاقات العامة بسردية واحدة تضع الأمر كل مرة في إطار دفاع عناصرها عن أنفسهم في وجه أعمال الشغب والرشق بالحجارة والمفرقعات النارية التي تطاولهم أثناء دفاعهم عن الأملاك العامة والخاصّة.

والحقيقة أن سلوك المتظاهرين في كثير من هذه الحالات كان يستدعي أسئلة مشروعة حول توقيته وظروفه وهوية المجموعات المسؤولة عنه وارتباطاتها، وأن رواية قوى الأمن كانت في هذه الحالات أقرب إلى الدقة وأكثر إقناعاً، ولم ينقصها سوى إغفالها الانفعال المفرط لأفراد غير مدربين كفاية على التعامل مع شتائم تطاولهم بصورة شخصية بوصفهم «مدافعين عن النظام»، في الوقت الذي يرون أنهم آخر من يمكن تحميله مسؤولية الواقع الذي وصلت إليه البلاد في ظل منعهم من أبسط حقوقهم الديمقراطية وهو المشاركة في الاقتراع، وأنهم أكثر فئات المجتمع تضرراً مع تآكل قيمة رواتبهم مع كل انهيار إضافي في سعر الصرف وانحدار وضعهم المعيشي إلى هوة بلا قعر تتجاوز بكثير ما يعانيه غيرهم من موظفي الإدارة العامة والأساتذة على سبيل المثال لا الحصر.

المفارقة هنا، هي أن دفاع قوى الأمن عن سلوك عناصرها في كل مناسبة، من الإشكالات الفردية إلى حالات الشغب والصدامات الجماعية، ليس في واقع الأمر سوى دفاع عن قيادة المؤسسة وسياستها ورأس الهرم فيها، وهو ما تؤكده بيانات للشعبة تبرّئ المؤسسة تماماً من تجاوز معيّن اتهمت فيه، وتحمّل المسؤولية عن «الحادثة» كاملة للطرف الآخر، ثم تشير في الختام إلى معاقبة العنصر الذي تسبّب أو شارك أو كان طرفاً في هذه الحادثة.

إعلام إلكتروني

الحقيقة أن سذاجة البعض في مقاربتهم للأمور وتجاهلهم واقع البلاد السياسي والأمني وتركيبتها ودور المؤسسات الأمنية فيها وصلاحياتها، لا يعفي قوى الأمن وإعلامها من تهمة المبالغة في إظهار المثاليّة إلى حد الاستفزاز أحياناً. ومن الأمثلة على ذلك تسليط الضوء بشكل مفرط على أمور ليست في صدارة اهتمام المواطن الرازح تحت وطأة أزمة معيشيّة خانقة، كالإعلان يومياً عن أخبار تحرير حيوانات وطيور محتجزة بشكل غير قانوني، بما يوحي بأن هذا النوع من المهام بات الشغل الشاغل للمؤسسة بضبّاطها ورتبائها وأفرادها. ولأن مفاهيم كالإنسانية والرحمة لا تتجزّأ ولا تخضع لظروف أو مواقيت، فإنه ليس مطروحاً مطالبة قوى الأمن بالكف عن ذلك وترك الحيوانات والطيور لمصيرها، لكن الحديث هنا هو عن الشق الإعلامي «الاستعراضي» في المسألة فقط، وعن الحاجة إلى مراعاة قوى الأمن في بياناتها لمشاعر البشر القاطنين ضمن نطاق عملها والمعرّضين بشكل متزايد إلى مخاطر على حياتهم بسبب ارتفاع معدلات الجريمة وتزايد حالات الانتحار وانهيار المنظومة الصحية وانتشار الجوع، خصوصاً حين تكون عاجزة عن توفير ما يستحقونه ويطلبونه ويقع في صميم دورها من حماية وأمن وأمان. والمفارقة أن في طليعة المتضررين من هذا الواقع المأزوم هم عناصرها وأفراد عائلاتهم.

يوم وكلاب ومساعدات مدرسية

في هذا المجال تحديداً، لا تكتفي شعبة العلاقات العامة بـ«تظهير» إنجازات قطعات المؤسسة كما جرت العادة، بل تتولى أيضاً «صناعة» هذه الإنجازات عن طريق تلقي الشكاوى من الجمعيات ونقلها إلى المخفر المعني مع إبعاز بالتحرك الفوري (وأغلبها تتعلق باحتجاز طائر اليوم وعرضه للبيع عبر وسائط التواصل الاجتماعي)، وبمجرد تحقيق نتيجة إيجابية يُصاغ الخبر ويُنشر في بيان رسمي.

نقاش

يرى البعض ان الإعدام يعدّ انتهاكًا لحقوق الإنسان الاساسية، ومنها الحق في الحياة والحرية من التعذيب. وتؤيد المنظمات الحقوقية العالمية الغاء الاعدام وتروّج لتنفيذ عقوبات بديلة. في المقابل، يرى اخرون ان الاعدام عقوبة عادلة للجرائم البشعة مثل الجرائم الإرهابية او القتل الجماعي. مع ذلك، يُخشى من ان يكون هناك تطبيق غير عادل لهذه العقوبة، بما في ذلك احتمال وجود اخطاء قضائية. بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة عقوبة الإعدام (2023/10/10)، عقدت «الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية» في 7 تشرين الاول 2023 ندوة للإلغاء الاعدام. فما دور هذه الهيئة وما هي اهدافها؟ وما الذي حققته؟ وهل امتناع الدولة عن تنفيذ احكام الإعدام منذ عام 2004 كافٍ؟

هل يمكن خفض عقوبة الإعدام؟

أحمد مدلج

تتحدث مؤسسة «الحملة الوطنية لإلغاء عقوبة الإعدام في لبنان» الدكتورة أوغاريت يونان لـ«القوس» عن مدى أهمية الحملة لتشكيل وعي اجتماعي لمناهضة الإعدام. «تأسست الحملة عام 1997، ومنذ ذلك الحين نحن ماضون لإلغاء عقوبة الإعدام والاستمرار في العمل ضمن نشاطات تضمّ كل أفراد المجتمع من قضاة ومحامين وطلاب جامعات وحقوقيين وحتى نوّاب. ولو ألغيت العقوبة، لا ينتهي دورنا هنا. فما هي الضمانات ألا يُعاد تشريع الإعدام؟ لذلك من واجبنا العمل للحفاظ على هذا الوعي ونشره على نطاق واسع ولأجيال متعددة». وتضيف أن للحملة إنجازات عديدة، أولها إلغاء القانون الرقم 302/94 الذي عُرف بـ«قانون القاتل»، ثم الضغط لتجميد تنفيذ أحكام الإعدام عام 2004، والتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح قرار «وقف تنفيذ الإعدام» عام 2020، بفضل جهود مؤسّسي الحملة وشركاء عالميّين.

تقدم الحملة الوطنية، وفق يونان، مساعدات قانونية لدراسات ملفات محكومين أو متهمين بعقوبة الإعدام لتخفيض العقوبة أمام لجنة تنفيذ العقوبات أو للدفاع عن متهم وعدم إنزال الإعدام بحقه.

العدالة ضربة حظ

عرض ممثّل الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، المحامي رفيق زخريا، أثناء الندوة حالتين أنزلت فيهما عقوبة الإعدام بحق متهمَين. وسأل: «هل هناك حكم مبرم لا تشوبه شائبة؟».

■ الملف الأول لشخص يحمل الجنسية البنغلادشية. ألقي القبض عليه في 1997/08/16 بتهمة قتل زميله البنغلادشي عبر كسر عنقه وتحطيم أضلاعه وكسر ساقه وفق ما جاء في تقرير الطبيب الشرعي. وفي 1998/12/18 قضت محكمة الجنايات بتجريم المشتبه فيه وإنزال عقوبة الإعدام بحقه نتيجة محاكمة لم يعترف خلالها بارتكاب الجريمة. تقدّم المحكوم عليه بطلب نقض، قُبِل شكلاً وأساساً بتاريخ 2006/06/26 أي بعد ثماني سنوات من صدور الحكم. وبعد إعادة استجوابه بحضور مترجم مكلّف من قنصلية بلاده، ختمت المحاكمة بتاريخ 2009/02/12. لكن محكمة التمييز قررت إعادة فتح القضية في 2009/04/30 وأعادت استجواب المتهم بحضور مترجم مكلّف من القنصلية أيضاً، وقد أصرّ كما كل مرة على براءته. واستمعت المحكمة إلى الطبيب الشرعي الذي أكد أن الضرر الذي لحق بالمجني عليه في النخاع الشوكي ناتج عن خلع رقبة الضحية باليد. أما الأضرار اللاحقة في الصدر فسببها تعرض الضحية للضرب بآلة حادة. في جلسة، بتاريخ 2012/02/02، قال المتهم إنه أصيب منذ 20 سنة بالشلل في جانبه الأيسر أدى إلى شلل كامل في يده، وبعد تعيين طبيب للتأكد من حالته، جزم الطبيب أن السجين يعاني شللاً في الطرف الأيسر الأعلى منذ زمن طويل لا يسمح له باستعمال يده لأي عمل كان، كارتداء ثيابه مثلاً أو حمل أشياء ثقيلة أو لخنق أحدهم بالقوة.

في 2013/04/18 صدر قرار محكمة التمييز وورد فيه حرفياً: «إن المحكمة وسنداً للوقائع المعروضة والثابتة من قبلها مقتنعة أن المتهم هو من قام بقتل المغدور عمداً وترى المحكمة عدم التوقف عند ما جاء في تقرير الطبيب عن حالة المتهم، لأن ظروف القضية كانت تدل أن المتهم خلع رقبة المغدور بيد واحدة، خاصة أنه أجاب أمام محكمة الجنايات بأن عمله في لبنان كان في خياطة الألبسة. وهو أصلاً خلال المحاكمة لم يذكر أنه يعاني من شلل». وقضت المحكمة بتجريمه والحكم عليه بالإعدام وخفض العقوبة تقديرياً لمدة 20 سنة وترحيله من الأراضي اللبنانية.

يتساءل زخريا، هل كان المتهم مدركاً للأسئلة التي توجّه إليه في كل مراحل التحقيق؟ وهل أمّنت المحكمة له مترجماً في كل مراحل الدعوى والتحقيق؟ وهل كان هذا المترجم يتقن اللهجة ذاتها، خصوصاً أنه تبيّن لاحقاً أن المترجم الذي حضر التحقيق لم يكن يتقن اللغة التي يتقنها المتهم لوجود لهجات بنغلادشية عدة. وهل يمكن الأخذ بعدم ذكر المتهم لشلله أثناء المحاكمة؟ وكيف يمكن للمتهم أن يعي ضرورة ذكر حالته الجسدية أثناء المحاكمة؟ يجيب زخريا أن من الواضح استشعار محكمة التمييز بالتناقضات في الوقائع. فهي أولاً قبلت النقض شكلاً وأساساً ونقضت الحكم المطعون فيه، وقررت النظر في الدعوى وفق الأصول ولم تعده لمحكمة الجنايات، وافتتحت مجدداً المحكمة لاستكمال قناعتها. وفي الوقت نفسه هل من المقبول أن تبني المحكمة قناعتها رغم تأكيد الطبيب وجزمه أنه لا يستطيع إتمام فعل الخنق فيما الضحية مات بكسر في الرقبة؟ في النهاية، قضت محكمة التمييز بالاكتفاء بالمدة التي قضاها المحكوم عليه في السجن وأخرج بسبب وضعه الصحي ورُحّل إلى بلده.

■ الملف الثاني يدور حول قضية طبرجا حيث كان آخر تنفيذ علني لعقوبة الإعدام، عام 1995، واثناء عملية سرقة، فوجئ المجرمون المسلحون بعودة أصحاب المنزل الواقع في طبرجا، فاطلق أحدهم ثلاث رصاصات أدت إلى قتل المجني عليه وشقيقته. لم يستطع المتهمان توكيل محام، فبادرت نقابة المحامين إلى تعيين محام للدفاع عن كل منهما عبر لجنة المعونة القضائية. في 1997/11/03 صدر عن محكمة الجنايات حكم قضى بإعدام المتهمين، فتقدم المحامي بطلب نقض، لكنه ردّ لأنه كان موجهاً ضد المدعين الشخصين وليس ضد الحق العام. فصدر القرار التمييزي بتاريخ 1998/02/17، ثم صدر مرسوم التنفيذ لقرار الإعدام وتحدد في فجر 1998/05/19 في ساحة طبرجا أمام الرأي العام. ووُثّق الإعدام.

توجه زخريا للحديث مع القاضي الذي كان ممثل المحكمة أثناء تنفيذ مرسوم الإعدام والمستشار في محكمة جنايات بعبدا التي حكمت، قبل الانضمام إليها، بعقوبة الإعدام بحق المتهمين. فأخبره القاضي أن أحد المحكوم عليهما توفي قبل تعليق حبل المشنقة حول عنقه، من شدة الخوف ربما. لكن المسؤول الأمني الذي كان موجوداً وقتذاك أصرّ على تعليقه ولم يأخذ برأي القاضي المشرف. يضيف زخريا أن الوضع السياسي في ذلك الوقت فرض إعدام المتهمين، «ما دام المجني عليهم من طائفة معيّنة وقُتلوا على يد أشخاص من طائفة أخرى، فيفترض أن يموت مقابلهما نفس العدد ليكتمل التوازن الطائفي». علماً أن مُطلق النار أثناء عملية السرقة كان أحد المحكوم عليهما وليس الاثنين، أي من مسدس واحد، وبالتالي «القاتل هو شخص واحد فقط»، رغم ذلك، طبّقت محكمة الجنايات القانون الرقم 94/302 على المتهمين. ولفت زخريا إلى عدم خبرة الوكيلين القانونيين اللذين مثّلا المتهمين، لأن عملهما أدى إلى تسريع إجراء الإعدام وليس إلى محاولة إنقاذ المتهمين. فالخطأ الجوهري بتقديم النقض في وجه المدعي الشخصي دون الحق العام أدى إلى ردّ التنفيذ.

لجنة تخفيض العقوبات ليست إعادة محاكمة

تحدثت رئيسة لجنة تنفيذ العقوبات في محافظات البقاع وبيروت ولبنان الجنوبي، القاضية ماري ليّوس، لـ«القوس» عن وجود 38 سجيناً محكومين بالإعدام تقدّموا بطلبات لتخفيض العقوبة، واستفاد منهم اثنان أطلق سراح أحدهما.

وتوضح ليّوس أن طريقة مقاربة المحامين للجنة تنفيذ العقوبات خاطئة. فالتركيز يفترض أن يكون على سلوك السجين ونشاطاته في السجن وإمكانية إعادة اندماجه في المجتمع. والشرط الأساسي هو التأكد من أن المجرم الذي سيستفيد من تخفيض العقوبة لن يشكل خطراً على المجتمع. تقول ليّوس إن لجنة تنفيذ العقوبات ليست محكمة «الحكم مبرم ونحن لا نعيد النظر بالحكم أو إعادة المحاكمة، نحن لسنا بمرجع للطعن بالحكم». وتضيف أن اللجنة لا تنظر في أي ملف إلا للتأكد من أن الجرم كان مستثنى من تخفيض العقوبة، وتنظر في الظروف التي ارتكبت أثناءها الجريمة للتأكد من مدى خطورة المحكوم عليه في حال قررت اللجنة إخراجه من السجن.

كما أشارت ليّوس أثناء الندوة إلى جهل كثيرين بوجود اللجنة، ولفتت إلى أن «مشكلة السجون معروفة ولا يمكن أن تلام اللجنة على المساهمة بالاكتظاظ، دورنا محدد ونحن نطبّق القانون». وتناولت التعديل الذي أُدخل عام 2011 لكي تشمل لجنة التنفيذ عقوبة الإعدام. لكن وُضعت شروط تعجيزية، من ضمنها البقاء لمدة 30 سنة داخل السجن مع حسن سلوك، ومع إسقاط الحق الشخصي. تثير تلك الشروط تساؤلات عدة بحسب ليّوس: أليست 30 سنة مدة طويلة للاستفادة من تخفيض العقوبة؟ وكيف يمكن البحث عن المدعي الشخصي وتبليغه بعد مرور ثلاثة عقود على ارتكاب الجريمة؟ وهل من المنطق إعادة تذكير ذوي الضحية بجريمة القتل بعد كل تلك المدة الزمنية؟

وتخلص ليّوس إلى أن القانون بحاجة إلى تعديل، والجهد يفترض أن يكون على أكثر من صعيد ويترجم عبر تثقيف وتوعية القضاة عن دور لجنة تخفيض العقوبات، كي لا يقوم القاضي بإصدار حكم بقضي بسجن المتهم لمدة إضافية خوفاً من استفادته من قانون تخفيض العقوبات.

> **ليّوس: نحن في لجنة تنفيذ العقوبات لا نعيد محاكمة السجين**

> **في هذا الإطار، سُجّل قبل أيام جرّ رجل مسن، في إحدى قرى بنت جبيل، لكلب بواسطة سيارته بعد ربطه بحبل (زعم لاحقاً أنه لم يقصد إيذاء الكلب بل الإختفاء بنقله إلى مكان بعيد بعد تعرّضه لأحفاده، وأنه تعمّد قيادة سيارته بسرعة متدنية لتفادي إلحاق الأذى بالكلب)، ولدى تواصل شعبة العلاقات العامة مع المخفر المعني لتكليفه بمتابعة الموضوع وتوقيف صاحب العلاقة بالتنسيق مع القضاء، سأل رتيب التحقيق الذي تولى الإجابة على الاتصال، المتصلَ، وهو زميل له يعمل في «الشعبة»، عن جمعية مماثلة يمكنها أن تتوسّط له لدى مديريته لإعادة أولاده إلى مدرستهم بعد طردهم منها إثر تأخره في دفع الأقساط عن العام الدراسي الماضي، علماً أن سبب تأخره هو عدم حصوله على المساعدة المدرسية المنتظرة التي يرجّح ألا تتجاوز 30% من قيمة القسط، والتي لم تفرج عنها المديرية (حتى صدور هذا العدد)، في سابقة لم تحصل من قبل.**

«إيموجي»

تحذّر الصفحة الرسمية للمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي على «فيسبوك» رُوّادها من استخدام العبارات النابية أو المسيئة لأي شخص أو جهة، ومن نشر الصور المخلة بالآداب، والشعارات السياسية والدينية والحزبية تحت طائلة حذف التعليقات المخالفة، وهذا (حذف التعليقات) متاح تقنيّاً بطبيعة الحال، ولكن الأمر نفسه لا يسري على اختيار المتابعين للرموز التعبيرية (الإيموجيز)، هكذا تطغى أيقونة «الوجه الضاحك» على سواها في التفاعل مع منشورات يفترض أنّها جدية تماماً! لعل هذا يعكس -بصورة ما- علاقة الثقة المفقودة بين مواطن يعيش ظروفاً صعبة ومؤسسة أمنية تحاول كسب ثقته وسط ظروف خاصة لا تقل صعوبة. نظرة الجمهور المستهدف من هذه المحاولات قد يختصرها تعليق تركه أحدهم أسفل أحد منشوراتها: «هني المواطنين زعران... بس إنتو ملايكة بلا جوانح».

#هاشتاغ

تنشط الصفحة في إطلاق وسوم مختلفة مع كل منشور بحسب طبيعة المناسبة أو الحملة التي يتزامن معها، من قبيل: #ما_تشرب_وتسوق، و#تسبح_بخير، و#تعاطيك_بينهيك، و#تجار_الموت، و#شتي_يا_دنيي، و#زغير_البيت، و#صورنا_تا_نحميك، والأخيران تقوم فكرتهما على تصوير المواطن لأي سيارة يخالف سائقها قانون السير لجهة السماح لأطفاله بالخروج من النوافذ أو الفتحة العُلوية بشكل يعرض حياتهم للخطر، وإرسال الصورة إلى صفحة قوى الأمن التي تتخذ قطعاتها إجراءً بحق المخالف وتقوم بنشر الصورة بعد تمويهها، وقد شهدت الحملة تفاعلاً كبيراً من المواطنين، الأمر الذي رأى فيه بعض المتابعين -بعيداً من الجانب الإيجابي لها والذي لا يمكن تجاهله- انعكاساً لعادة أصيلة لدى المواطن اللبناني هي الوشاية بغيره وتملّق الأجهزة الأمنية طمعاً في نيل رضاها.

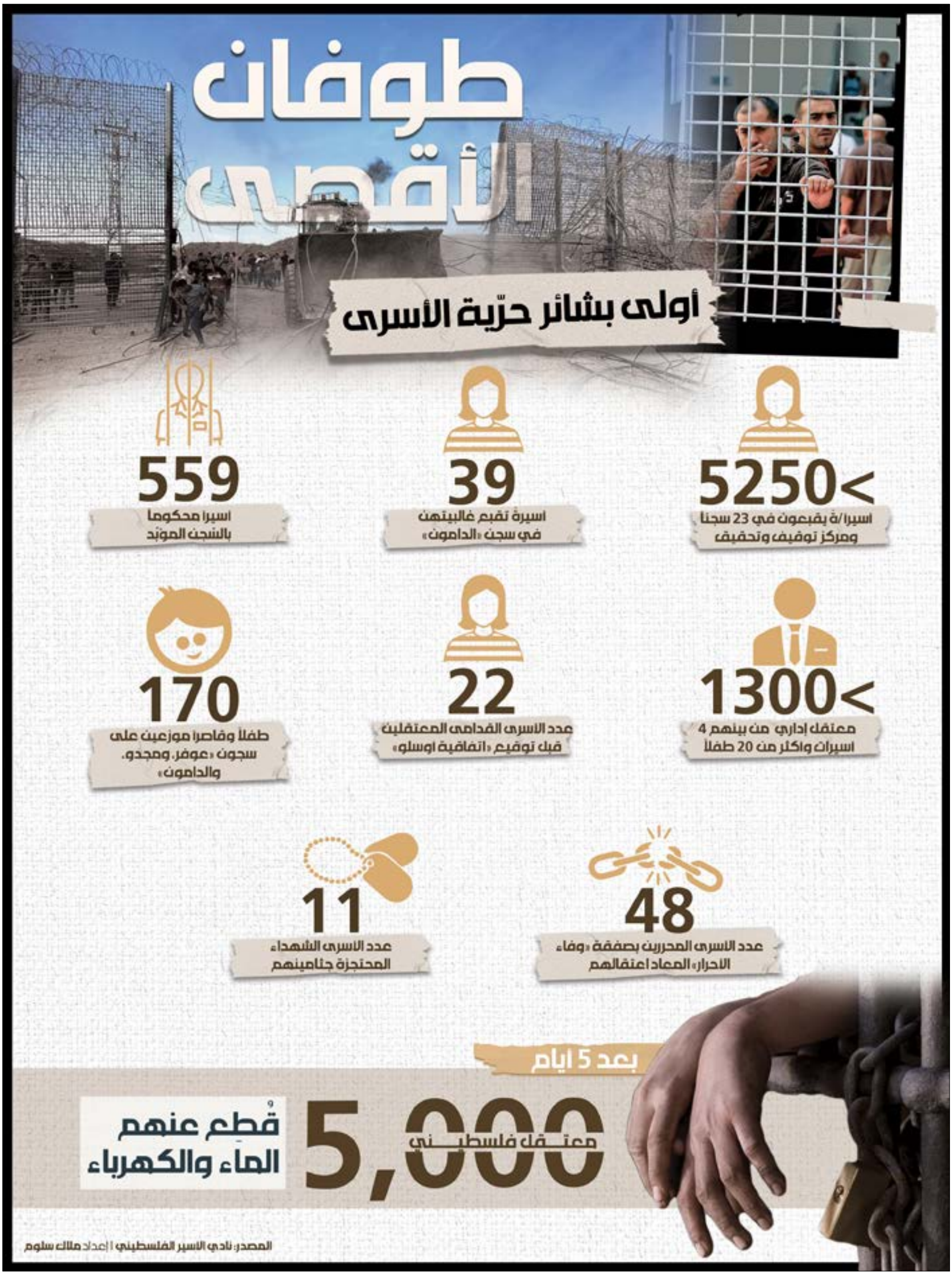

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com